

# نبيل فاروق

# السيارة السوداء

الكتاب الأول

مجموعة قصصية

سبارك للنشر والتوزيع

فريق  
متميزون



E-BOOK

مكتبة فريق\_متميزون.

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل والتجميع لسلسلة

الستار الأسود



## كلمة مهمة:

هذا العمل (تحويل سلسلة الستار الأسود المنشورة بسلسلة كوكتيل ٢٠٠٠ الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي. وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

من روائع د. نبيل فاروق

سلسلة الستار الأسود

(الكتاب الأول)

عالمنا الذي نعرفه محدود..  
ليس بحدوده، ولكن بحدود قدراتنا نحن..  
محدود، بما نعرفه عنه..  
وغير محدود، بما نكشفه من أسرارهِ وخبائهِ في  
كل يوم..  
بل في كل لحظة..  
عالمنا نراه بأعيننا، ونتعامل معه بحواسنا  
ومعارفنا..  
وعلى الرغم من كل ما نعرفه، مازالت معارفنا  
عنه محدودة..  
فما نراه ونسمعه ونلمسه، ليس كل عالمنا..  
هناك ستار، يفصل بين ما نعرفه الآن، وما سوف  
حتمًا نعرفه غدا..  
ودعونا نبذل محاولة محدودة للعبور خلف ذلك  
الستار، الذي يحجب عنا الكثير والكثير من  
أسرار وخبائهِ عالمنا..  
الستار الأسود.  
د. نبيل فاروق

## عيد ميلاد سعيد..

ما أجمل الليل..

هادئ وساكن، وخال من الزحام والضوضاء، وبخاصة في تلك البقعة شبه الخالية، في طريق الإسماعيلية، على مسافة كيلو مترات قليلة، من مدينة العاشر من رمضان..

هناك كنت أنطلق، على دراجتي البخارية القوية، التي يشق ضجيج محركها الصغير، مع ضوضاء أبواب العادم، ذلك السكون البديع لليل..

وعند تلك المنطقة التجارية، توقفت، وجلت بنظري فيما حولي في إمعان..

كل شيء كان هادئاً، ساكناً، على خلاف ما يكون عليه في الصباح..

إلا ذلك المتجر الصغير، على بعد أمتار من آخر المحال..

كان من المدهش أن يكون مفتوحاً، تنبعث منه الأضواء، في هذه الساعة، حيث اقتربنا من الثانية صباحاً..

أوقفت دراجتي البخارية، وتحسست تلك المدية الحادة في جيب سروالي الخلفي؛ لأطمئن إلى وجودها، ثم اتجهت إلى ذلك المتجر..

فالليل هو ملعبي..

ومصدر دخلي الرئيسي..

في الليل، يمكنك أن تربح الكثير..

تستوقف شاباً، وتجبره على أن يعطيك هاتفه المحمول..

أو تقتحم صيدلية ليلية، وتسرق ما بها من مواد مخدرة..

أو تفاجئ حبيبين في سيارة، فتأخذها منهما عنوة، وتتركهما في العراء..

الليل كله أرباح..

بالنسبة لمتلى على الأقل..

وصاحب ذلك المتجر الصغير سيكون مصدر دخلي الليلة..

وهذا خطؤه..

ما كان ينبغي له أن يظل في متجره الصغير، في ساعة متأخرة كهذه..

هذا خطؤه بالتأكيد..

وعندما وصلت إلى ذلك المتجر تضاعفت دهشتي عندما فوجئت بأنه متجر لبيع ألعاب الأطفال!!

أي متجر ألعاب هذا، الذي يظل مفتوحا، في منطقة أغلقت كل أبوابها، وفي مثل هذه الساعة؟!

بل أي أحمق يبقى هنا بعد أن انصرف الجميع؟!

أي أحمق؟!

دفعت باب المتجر الزجاجي، وأنا أتحسس مديتي مرة أخرى، ووقفت في المتجر، أتلفت حولي في توتر..

لم يكن هناك أحد..

فقط ألعاب من البلاستيك والفراء، تملأ كل الأرفف..

ولا أحد..

تتنحنت على نحو عصبي، وأنا أقول:

- هل من أحد هنا؟!

إثر سؤالي، فتح أحدهم بابا جانيبا، لم أكن لأنتبه إلى وجوده أبدا؛ لتشابهه المتقن مع الجدار من حوله، فنراجعت بحركة عصبية حادة، وتطلعت في دهشة إلى شيخ طاعن في السن، بدا شاحبا على نحو عجيب، على الرغم من ابتسامته الهادئة الطيبة، وهو يقول:

- أنا هنا يا بني.

مرأى ذلك الشيخ، الذي ينقل قدميه في صعوبة، جعل فكرة الرحيل تراودني لحظة، إلا أنني لم ألبث أن طرحتها جانبا، وأنا أقول في خشونة:

- أريد هدية عيد ميلاد لابن شقيقتي.

رمقني الشيخ بنظرة طويلة، خلت معها أنه سيسنتكر قدومي في هذه الساعة لشراء هدية عيد ميلاد، إلا أنه لم يلبث أن قال في هدوء:

- لقد جننت في الوقت المناسب.

أدهشتني بشدة عبارته، التي لا تتناسب فعليا مع الوقت، ولكنه أضاف، وهو يشير بابتسامة باهتة، إلى كومة ألعاب، غير متراسة بعناية:

- لقد كنت أجرى جردا لمجموعة ألعاب سنقدمها بتخفيض كبير في حفل الافتتاح غدًا.

أدركت عندئذ لماذا بقي الرجل في متجره، حتى هذه الساعة المتأخرة، فغمغمت في شيء من الخشونة، التي لم أتعمدها:

- هذا من حسن حظي.

عاد الشيخ يبتسم، ابتسامة أشد شحوبا من وجهه، وهو يغمغم:

- إنه قدرك.

كان حديثه عن حفل الافتتاح في الغد، قد أصابني ببعض الإحباط؛ نظرا لأن هذا سيعني خلو خزينته من النقود...

ثم إنه ما من لص يحترم نفسه، يمكن أن يسرق كومة من الألعاب والدمى الفرائية السخيفة..

كنت أفكر في هذا، عندما سألني الشيخ الشاحب في اهتمام:

- أيهما تفضل؟

قالها، وهو يشير إلى الألعاب، التي لم أبال بها إطلاقا، وأنا أقول:

- الواقع أنني كنت أفكر في هدية أفضل.

رمقني الشيخ بنظرة طويلة أخرى، قبل أن يقول:

- قلت لك: إنه قدرك.

ثم أشار إلى الباب، الذي خرج منه، وهو يضيف:

- عندي في الأسفل مجموعة جديدة، لم أنته من تصنيفها بعد، وبها لعبة إلكترونية رخيصة الثمن، ستروق لابن شقيقتك بالتأكيد.

أدرت ظهري له، وأنا أقول في ضجر:

- ربما في مناسبة أخرى.

كنت أهما بمغادرة المكان، عندما سمعته يقول بنفس الهدوء الشاحب:

- فليكن.. سأعود إلى جرد الخزانة.

توقفت مع سماع كلمة (الخزانة)، والتفت إليه قائلاً:

- ولكن من يدري؟ ربما أعجبتني تلك اللعبة الإلكترونية..

تقول إنها رخيصة الثمن.. أليس كذلك؟!

اتجه نحو ذلك الباب، وهو يقول في شحوب:

- انتظر.. سأحضرها لك.

كان من الواضح أنه سيهبط إلى حيث خزانة النقود، فقلت في سرعة، أخشى أنها قد شفت عن لهفتي:

- لا ترهق نفسك.. سأهبط معك؛ لأراها بنفسني.



التفت إلى الشيخ مبتسما، وغمغم:

- ربما كان هذا أفضل.

كنت أشعر أن أذني تبتلان جهدا حقيقيا لسماعه؛ إذ كان يفتح شفثيه بالكاد، مع صوته الضعيف، فأسرعت إليه، قائلاً:

- نعم.. هذا أفضل بالتأكيد.

تقدمني الرجل نحو الباب، الذي يقود إلى سلم خشبي ضيق، هبطت فيه معه إلى قبو خافت الإضاءة، تفوح منه رائحة عطنة، توحى بأن يد النظافة لم تمتد إليه منذ زمن..

وعلى الضوء الخافت، شاهدت الخزانة..

خزانة معدنية كبيرة، يسيل لها لعاب أي لص محترف؛ ربما لأنها لا تُستخدم إلا لحفظ كميات النقد الكبيرة، و..

وفجأة، انتبهت إلى ذلك الصبي..

كان صبيًا شاحبًا نحيلًا، يجلس صامتًا على مقعد قديم، في ركن القبو، ويبدو بانسًا إلى حد كبير، وإن بدا الاهتمام في عينيه الواسعتين، وهو يتطلع إلى بلا خوف، والشيخ يشير إليه، قائلاً:

- إنه حفيدي.. تصادف أن عيد مولده اليوم، فأنتيت به من أجل هديته..

غمغمت، دون أن أرفع عيني عن الصبي:

- أهو مريض؟! إنه شاحب بشدة.

كان وجود الصبي يضايقني بالفعل، إذ إن الاستيلاء على النقود في الخزانة، سيضطرني للتخلص منه مع جده..

وهذه أهم نقطة في مهنتي..

لا تترك خلفك شهودا..

أبدا..

كاد جزءا من ضميري يستيقظ، مع رؤية ذلك الصبي الشاحب النحيل، ولكنني أسرعت أخمده، بنظرة أخرى على الخزانة الكبيرة، والشيخ يقول:

- إنه فقط لم يتناول طعامه منذ فترة؛ فهو هنا منذ زمن طويل.

غمغمت بكلمات لا أذكرها، والشيخ يستطرد، مشيرا إلى كومة أخرى من الألعاب، على مقربة من الصبي:

- اللعبة هنا، ولكنها ستحتاج إلى بعض البحث.

تحسست مديتي في تحفز، وأنا أقول في خشونة:

- فيما بعد.

التفت إلى الشيخ بنظرة خاوية، فانترعت مديتي، وشهرتها في وجهه، وأنا أقول:

- ما يشغلني الآن، هو محتويات تلك الخزانة.

كنت أتوقع صراخا أو ذعرا، ولكن الشيخ بدا هادئا إلى حد عجيب، في حين ظل الصبي ساكنا في مقعده، فكررت في حدة:

- افتح الخزانة.

أطاعني الشيخ في استسلام عجيب لم أتوقعه، وهو يقول:

- لا بأس، ولكنك لن تجد بها ما تتوقعه.

زمرت، قائلاً:

- سأكتفي بما أجده.

استدار الشيخ في هدوء مستفز، وأنا ألوح بمديتي، وفتح الخزانة، وهو يقول:

- ها هي ذي.

حدقت في محتويات الخزانة بمنتهى الدهشة والتوتر، وأنا أهتف بلا وعي:

- ما هذا بالضبط؟!!

وكان هذا آخر ما نطقت به..

فمع آخر العبارة، تلقيت ضربة قوية على مؤخرة رأسي، و..

فقدت الوعي..

لست أدري كم بقيت فاقد الوعي، في ذلك القبو خافت الإضاءة، ولكنني عندما استيقظت، كنت مكمم الفم في إحكام، ويداي وقدماي مشدودة إلى قضيب معدني قوى، بأغلال فولاذية، جعلتني معلقاً أفقياً في الهواء..

وكان ذلك الشيخ الشاحب يقف مع حفيده الأكثر شحوباً، على قيد خطوات منى، وهو يبتسم تلك الابتسامة الهادئة، قائلاً:

لم أفهم ما يقوله، وحاولت قول أي شيء، ولكن تلك الكمامة القوية أخرستني تماماً. وبعينين مذعورتين، شاهدت الشيخ يخرج مجموعة من السكاكين الطويلة، والسواطير الضخمة من الخزانة المعدنية الكبيرة، ويربت على رأس حفيده في حنان، قائلاً:

- سيكون الطعام جاهزاً بعد قليل.

وفي هدوء، انحنى يشعل النار في موقد كبير أسفلى، وشعرت باللهب يحرق جسدي، وأنا عاجز عن الصراخ، في حين بدأ الشيخ يدير ذلك العمود المعدني

القوى، وهو يربت مرة أخرى على رأس حفيده، وقد ابتسم كلاهما، وظهرت أنيابهما الحادة الطويلة، الشبيهة بأنياب الذئب، والشيخ يقول بكل الحنان لحفيده:

- عيد ميلاد سعيد.

وكان هذا آخر ما سمعته..

على الإطلاق.

☆ ☆ ☆ ☆

# أعلى.. أم أسفل

«لست أنصحك بالسكني في طوابق مرتفعة»

قالها (صبحي)، سمسار العقارات للمهندسة (ناهد)، في توتر واضح، وهو يشير إلى المبنى، الذي يحوي ثلاث شقق خالية، في واحد من أرقى أحياء المدينة، فالتفتت إليه في دهشة، قائلة:

- ولكنك أخبرتني أن البناية لها مصعد كبير.. أليس كذلك؟!

تردد لحظة، قبل أن يقول، في لهجة عجيبة:

- المصاعد تتعطل أحيانا.

تطلعت إليه بنفس الدهشة لحظات، ثم لم تلبث أن ابتسمت، وهي تقول:

- البناية تبدو لي حديثة العهد، على الرغم من عراقة المنطقة، فلماذا يتعطل مصعدها كثير؟!

تردد لحظة أخرى على نحو غير مفهوم، مما جعلها تتابع، في شيء من السخرية:

- أم أنك تخشى المصاعد على نحو عام؟!

بدا (صبحي) مرتبكا بعض الشيء، ثم لم يلبث أن قال في توتر:

- ربما هذا المصعد بالتحديد.

مالته نحوه، تسأله في اهتمام:

- ولأي سبب؟!

شاهدت في عينيه لمحة خوف عجيبة، أثارت حيرتها، وجعلتها تعادل، قائلة في توتر، انتقل منه إليها:

- هل ستحصل من مالك الشقة السفلية على سمسة أكبر؟!

تواصلت لمحة الخوف في عينيه، ممتزجة بتردده وقلقه، ثم لم يلبث أن أشاح بوجهه، وهو يقول في شيء من العصبية:

- ليست هذه هي الفكرة.

بدت الصرامة في ملامحها وصوتها، وهي تقول:

- في هذه الحالة، سأختار الشقة في الطابق الخامس؛ فهي أكثر أناقة، وأقل إيجارا.. ثم إنني لن أستأجرها إلا لشهر واحد؛ حتى

أنهى عملي في مدينتكم. تردد (صبحي) لحظة أخرى، ثم لم يلبث أن زفر في توتر، قائلا:

- هذا شأنك.

ناولها مفتاح الشقة بأصابع مرتجفة، بدت لها ملحوظة للغاية، إلا أنها، بطبيعتها الصارمة، تجاهلت هذا، ووقعت العقد، واستلمت مفتاح الشقة المفروشة في الطابق الخامس، و(صبحي) يغمغم مكررا، في صوت حمل ارتجافة أصابعه:

- تذكرني أن هذا شأنك.

كانت تشعر بالإرهاق، بعد يوم شاق من البحث عن شقة جيدة الأثاث، في مكان راق، يمكنها أن تقيم فيها خلال ذلك الشهر، الذي يستلزمه إتمام عملها في تلك المدينة الساحلية الجميلة؛ لذا فهي لم تقبل بموقفه، وقررت الصعود إلى الشقة على الفور؛ لتتال قسطا من الراحة، قبل أن تخرج للتجول في المدينة، التي لم يغب سحرها عنها، منذ كانت تقضى الصيف فيها مع أسرتها، في طفولتها وشبابها..

وبكل هدوء، استقلت المصعد الكبير، وصعدت إلى حيث شقتها، دون أن يحدث ما يسيء.. كانت الشقة صغيرة نسبيا، ولكنها جيدة الأثاث على نحو ملحوظ، وبها شرفة جانبية، تطل على البحر، توقفت فيها طويلاً، تستنشق عبير هواء البحر، المشبع باليود، في استمتاع شديد، قبل أن تغتسل، وتغرق في نوم عميق..

عندما استيقظت، كانت الشمس قد غربت بالفعل، وبدت الشقة غارقة في الظلام، إلا من أضواء خافتة، تنقلها إليها اللافتة المضيئة لذلك الفندق القديم، المجاور للبنائية، فجلست في الشرفة قليلا، تتابع حركة السيارات على الكورنيش، ثم ارتدت ثيابها؛ لتخرج للاستمتاع بالمدينة في الليل.

كان الطابق الذي تقيم فيه يحوي شقتين، والأخرى تبدو مظلمة، وكأنما لا يسكنها أحد، ولقد أشعرها هذا بشيء من الارتياح؛ لأن أحدا لن يزعجها حتما، طوال فترة إقامتها، التي قد لا تستغرق الشهر بأكمله..

وفي هدوء، وصل المصعد إلى طابقها، ولكنه لم يكن مضيئا، شأن المصاعد الحديثة، بل كان يحوي مصباحا واحدا خافتا، يمكنك أن تميز ما حولك معه في صعوبة، إلى أنها دلفت إليه، وضغطت زر الطابق السفلي، ووقفت تنتظر..

ثم فجأة، انتبهت إلى ذلك الواقف في الركن..

لم تكن قد تبينته عند دخولها المصعد، مع الضوء شديد الخفوت فانقض جسدها لحظة، خجلت بعدها من شهقة الدهشة المذعورة، التي انطلقت منها عفويا، فحاولت أن تبتمس، وهي تقول:

- معذرة.. لم أنتبه إليك في البداية.

على الضوء شديد الخفوت، والذي يختفي عند عبور المصعد، لتلك المسافة بين الطوابق، رأت فيه رجلا متوسط الطول، له شعر أشيب قصير، يضم يديه أمام جسده، ويخفض وجهه كله، وكأنه يتأمل أرضية المصعد..

ولقد اكتفى ذلك الرجل برفع يده اليمنى قليلا، وكأنه يعلن قبول اعتذارها، ثم عاد إلى وقفته، في صمت عجيب..

ولأنها وجدت أن هذا ليس من حسن الخلق، فقد اعتدلت في وقفته، وأبعدت نظرها عنه، في انتظار هبوط المصعد إلى الطابق الأرضي..

وظل المصعد يهبط..

ويهبط...

ويهبط..

وشعرت (ناهد) بمزيج من الدهشة والخوف..

إنها تقيم في الطابق الخامس، والمفترض أن يعبر المصعد خمسة طوابق، قبل أن يصل إلى الطابق الأرضي، ولكنها أحصت سبعة طوابق حتى الآن، و..

وفجأة، توقف المصعد..

وكلمة (فجأة) هنا لم تكن مبالغة، فقد توقف بالفعل على نحو مباغت، اختلَّ معه توازنها أو كاد، حتى إنها ألصقت يديها ببابه، حتى لا تقع أرضا، وغمغمت في سخط:

- هذا المصعد اللعين، يحتاج بالفعل إلى إصلاح.

بدت لها العبارة فجأة، في وجود ذلك الراكب الآخر، فالتقت إليه نصف التفاتة، قائلة:

- معذرة.

مرة أخرى، اكتفى الرجل برفع يده اليمنى قليلا، دون أن يجيب، في نفس الوقت الذي انفتح فيه باب المصعد، فغادرته مغممة:

- تفضل.

ولكن الرجل اكتفى مرة أخرى برفع يده اليمنى، دون أن يرفع وجهه إليها، ولم يغادر مكانه، فهزت كتفيها، متصورة أنه لم يكن يرغب في الهبوط، ولكنها استدعت المصعد قبل أن يغادره، مما اضطره للصعود إلى طابقها، ثم لم تسأله هي عن الطابق الذي ينشده، قبل أن تضغط زر الطابق الأرضي..

الفكرة جعلتها تغادر المبنى، وتلقى نظرة عليه من الخارج؛ لتتأكد أنه من خمسة طوابق، قبل أن تغمغم:

- ربما أخطأت العدّ..

ألقت كل هذا خلف ظهرها، وهي تستقل سيارتها إلى منتصف المدينة، حيث التقت بصديقة قديمة، تقيم في تلك المدينة الساحلية، وقضيا معا سهرة لطيفة، قبل أن تغادرها قرب منتصف الليل، عائدة إلى حيث تقيم..

وعند مدخل البناية، فوجئت بالسمسار (صباحي) يقف، متطلعا  
إلى المصعد في قلق أثار ضحكتها، وجعلها تسأله، وهي تدلف إلى حيث المصعد:  
- هل سجنتم داخل المصعد في طفولتكم أم ماذا؟!  
انتفض (صباحي) لمرأها، والتفت إليها بعينين مذعورتين، كما لو أنه قد رأى شيئا،  
وما أن تبين هويتها، حتى سألتها، في خليط من اللهفة والقلق:  
- أنت بخير؟!  
أجابته في دهشة:  
- بالتأكيد.. ولماذا لا أكون؟!  
نقل بصره بينها وبين المصعد، قبل أن يسألها في خوف:  
- هل تتوين استقلال المصعد في هذه الساعة؟!  
أحنقها قوله، فضغطت زر المصعد، وهي تقول في صرامة:  
- إنك لا تتوقع مني أن أصعد على قدمي إلى الطابق الخامس.  
غمغم في عصبية:  
- ربما كان هذا أفضل، في مثل هذا التوقيت.  
التفتت إليه في غضب، قائلة في حدة:  
- اسمع يا رجل.. احتفظ بعقدك هذه لنفسك، واتركني أنا لشأني.. إنني أبغض التدخل  
في شئونني على هذا النحو.  
تردد (صباحي) لحظات، ثم قال في استسلام:  
- فليكن.. هذا شأنك.  
تابعته ببصرها، حتى ابتعد عن المكان، واختفى في شارع مجاور، وقالت في حنق:  
- ياله من لحوح..  
كان المصعد قد وصل بالفعل، فدلفت إليه، وامتدت سبابتها إلى زر الطابق الخامس،  
عندما انتفض جسدها في قوة، وأطلقت شهقة قوية، قبل أن تقول في عصبية، وهي  
تنطلع إلى نفس الرجل، الذي بدا وكأنه لم يغادر مكانه أو وقفته، منذ غادرت البناية:  
- معذرة، ولكن موقفك هذا يثير التوتر بالفعل.  
ولأول مرة، تحدث ذلك الرجل..  
كان صوته خافتا، ممتلئا بالحزن والأسى، وهو يقول:  
- كان ينبغي أن يضعوا لافتة، تشير إلى أن المصعد معطل.

لم تفهم (ناهد) ما يعنيه هذا، فغمغمت، وهي تحاول التكيف مع ذلك الضوء الخافت؛  
لترى وجه الرجل:

- ماذا تعني؟! إنه يعمل منذ الصباح، ولقد هبط هذه المرة في هدوء لم يبد أن الرجل  
قد سمعها، وهو يواصل:

- كان ينبغي على الأقل، أن يصلحوا الباب، حتى لا يفتح في غياب المصعد.  
مالت نحوه، محاولة رؤية ملامحه، وهي تغمغم:

- من تعنى بالضبط؟!!

واصل حديثه، قائلاً في غضب:

- وينبغي أن يدفعوا الثمن..

ثم رفع وجهه إليها دفعة واحدة، قائلاً في غضب شرس:  
- كلهم.

وتراجعت (ناهد) في رعب، وهي تطلق صرخة قوية..

فوجه الرجل كان مشوها في شدة، وتغمره الدماء على نحو مخيف..

وفي نفس اللحظة، التي رفع فيها وجهه إليها، بدأ المصعد يهبط في سرعة، على  
الرغم من وجوده في الطابق الأرضي..

وصرخت (ناهد) ثانية، وبقوة أكبر، عندما اختفى الرجل دفعة واحدة..

وصرخت..

وصرخت..

وضغطت كل أزرار المصعد، إلا أنه واصل هبوطه بسرعة مخيفة، شاعت معها  
صرخاتها.. تماماً..

وبعد أسبوع واحد، وبينما الشمس تغمر البناية الحديثة نسيباً، في ذلك الحي العريق،  
سأل السمسار (علوي)، زميله (صبحي)، الذي يجلس على مقعد خشبي صغير،  
متطلعا إلى البناية:

- ألم تظهر بعد؟!!

غمغم (صبحي):

- لن تظهر.

ثم أشار إلى سيارة (ناهد)، التي علتها بعض الأتربة، والتي لم تغادر مكانها، منذ  
تلك الليلة، متابعاً:

- إن عاجلاً أو أجلاً سيأتي أحدهم للبحث عنها.



سأله (علوي)، شأن من اعتاد الأمر:

- وهل ستبلغ الشرطة؟!!

صمت (صباحي) لحظات، ثم هز رأسه نفيا، وغمغم:

- سيتهمونني بالجنون، لو فعلتها مرة أخرى.

سأل (علوي) في اهتمام:

- ماذا ستفعل إذن؟!!

هز (صباحي) كتفيه، وقال:

- كالمعتاد.. سأنتظر حتى نهاية العقد، ثم أعرض الشقة مرة أخرى للإيجار.

بدا (علوي) قلقا، وهو يقول:

- وهل ستخبر سكانها الجدد بما ينتظرهم؟!!

صمت (صباحي) لحظات أخرى، ثم عاد يهز كتفيه، مجيبا في صوت خافت:

- هذا شأنهم.

وعاد يتطلع إلى البناية..

في صمت..

☆ ☆ ☆ ☆

## نداء..

بدأت تلك الليلة هادئة، كمعظم ليالي الصيف، في الريف المصري، وعلى الرغم من الصخب المحدود، في ذلك الركن الصغير، الشبيه بالمقهى، عند أطراف القرية، بسبب متابعة البعض لمباراة كرة قدم هامة، بين فريقين أجنبيين، ومن كركرة الشيشة المعتادة، وأصوات أكواب الشاي الساخن، وهي توضع وترتفع عن الموائد الخشبية شبه المتهالكة، ساد باقي القرية هدوء جميل، بعد أن شارفت الساعة منتصف الليل، وأوى معظم أهل القرية إلى فراشهم؛ استعداداً ليوم العمل التالي..

وفي ضجر واضح، غمغم (فتحي)، موظف مكتب الإصلاح الزراعي الجديد في القرية، مشيراً إلى زميله (ممدوح):

- أهذه هي وسيلة الترفيه الوحيدة هنا؟!

ابتسم (ممدوح)، قائلاً:

- إنها كذلك، ولكن سرعان ما تعناد الأمر، فالقوم هنا أبسط بكثير من سكان المدن، على الرغم من أن الجيل الجديد منهم لم يعد يعمل في الزراعة كالسابق.

قلب (فتحي) شفتيه، قائلاً:

- هذه كارثة، أن ينفصل سكان الريف عن ريفهم، فمازلت أذكر كيف كانت جدتي تحقق اكتفاء ذاتياً في قريتنا، ولا تحتاج تقريباً لشراء مستلزمات الأساسية من المدينة.. انظر إلى ما يحدث الآن.. إنهم يبتاعون الجبن والبيض والخبز من المدينة، بعد أن كانوا هم من ينتجون هذه الأشياء.

هز (ممدوح) كتفيه، قائلاً في بساطة:

- الزمن يتطور يا رجل.

غمغم (فتحي) في سخط:

- إلى الأسوأ.

استدار إليه (ممدوح)، قائلاً:

- كل شيء في الوجود له سلبياته وإيجابياته.. على الأقل ارتفعت نسبة التعليم بينهم.

قال (فتحي) في سخط مستكراً:

- وهل تسمى هذا تعليماً؟! إنهم مازالوا يعيشون في خرافات الماضي، ويرددون نفس الروايات السخيفة، التي كانت ترويها لنا جدتي في طفولتنا.. أتصدق أنهم مازالوا يروون قصة (النداهة) في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين؟!

بدا التردد والتوتر واضحين، على ملامح (ممدوح)، وهو يغمغم في صوت، حمل الانفعاليين نفسيهما:

- ليست كلها خرافات.

التقت إليه (ممدوح)، بنظرة تجمع بين الاستنكار والازدراء، وهو يقول

- لا تقل لي إنك تؤمن بخرافة (النداهة) هذه!؟!

تردد (ممدوح) لحظات أخرى، ثم قال في خوف:

- كثيرا ما تحمل لمحة من الحقيقة.. أنت تعلم أن الحكم القديمة تقول: إنه لا دخان بلا نار.

أجابه في شيء من الحدة:

- ما تعلمناه في صفوف الكيمياء، يؤكد وجود الكثير من الدخان بلا نار.

رمقه (ممدوح) بنظرة متوترة، ثم أشاح عنه بوجهه، وكأنه لا يريد الاستطرد، ولكن (فتحي) تابع في إصرار:

- من يصدق، في القرن الحادي والعشرين وجود جنية الحقول هذه، التي تتاديك باسمك، أثناء سيرك بين الحقول، فإذا ما التقت إليها، طار عقلك، وصرت مجنونا.

غمغم (فتحي)، في لهجة استقرازية:

- وهل تصدقها أنت!؟!

ظل (ممدوح) صامتا بعض الوقت، متظاهرا بمتابعة شاشة التلفاز الصغير، ثم لم يلبث أن غمغم، في شيء من الحدة:

- لكل شأنه يا رجل.

كان من الواضح أنه يرفض خوض هذا الحديث؛ مما ضاعف في أعماق (فتحي) ذلك الشعور بالضجر والسخط، فنهض بحركة حادة، قائلاً:

- الأفضل أن أذهب للنوم.. هذا لو استطعت احتمال ذلك المنزل الحقير، الذي يمنحونه لموظفي المصلحة.

غمغم (ممدوح) مرة أخرى، دون أن يلتفت إليه:

- فليكن.

ثم استدار نصف استدارة نحوه، مكملًا:

- ولكن خذ حذرك.

ابتسم (فتحي) ابتسامة ساخرة، وألقى نظرة مستتكرة عليه، ثم غادر المقهى، عائدا إلى ذلك المنزل الصغير، في الطرف الآخر من القرية..

كان السكون يخيم على كل شيء تقريبا، ولكن الطقس بدا منعشا مما جعله يسير بين الحقول، مددنا بأغنية عاطفية قديمة، عشقها في حدائثه..

«أستاذ (فتحي)»..»

فجأة، ارتفع ذلك النداء، بصوت خافت مبوح، حمل رنة أنثوية واضحة، فانقض جسده كله دفعة واحدة، وتجمدت حركته، فتوقف بغتة، وشعر بتلك القشعريرة تسري في جسده..

لا.. مستحيلا هذا لا يمكن أن يحدث..

لا يمكن أن يكون هذا حقيقة..

(النداهة) خرافة..

مجرد خرافة..

ردد هذا في أعماقه، في محاولة لانتزاع ذلك الخوف من نفسه، ودفع قدميه دفعا ليوصل طريقه، وإن تسارعت خطواته بعض الشيء..

ومرة أخرى، تردد ذلك النداء الأنثوي من خلفه..

نداء يحمل اسمه..

وبصوت أكثر ارتفاعا..

وفي هذه المرة، طرح عقله كل محاولاته جانبا، أمام ذلك الرعب، الذي سيطر على كيانه كله..

إذن فهي حقيقة..

(النداهة) ليست خرافة..

ما روته له جدته في طفولته لم يكن وهما..

(النداهة) حقيقة..

وها هي ذي تناديه، كما روت له الجدة بالضبط..

تناديه باسمه، وسط الحقول، بعد منتصف الليل..

تسارعت خطواته، على نحو كبير، وارتجف جسده كله في شدة..

ومن خلفه، سمع خطوات أخرى..

خطوات مسرعة، تحاول اللحاق به..

واتسعت عيناه، في رعب بلا حدود..

ومرة الثالثة، تصاعد ذلك النداء الأنثوي من خلفه..

نداء باسمه.. وبصوت واضح..

واضح للغاية..

إنها خلفه..

تسرع نحوه..

تريد أن تقتنصه..

واستعاد عقله كل حكايات جدته..

لا ينبغي أبدا أن يلتفت إليها، والا سلبته عقله..

لا ينبغي أن يلتفت أبدا..

ومع النداء الرابع، الذي بدا مرتفعا أكثر من ذي قبل، تحولت خطواته المُسرعة إلى جري مذعور..

كان يحاول مغادرة منطقة الحقول، قبل أن تلتحق به..

ولكن الخطوات من خلفه تسارعت أكثر وأكثر..

ومع النداء الخامس، الذي يحمل اسمه، بدأ يصرخ دون وعي:

- ابتعدى عني.. ابتعدى عني..

ولكن الخطوات تسارعت خلفه أكثر و..

وفجأة، أدرك أنه قد ضلَّ طريقه، وأنه محاط بالحقول من كل صوب، وتعثرت قدماه على الطريق غير الممهّد، فحاول أن يتشبث بشيء..

أي شيء..

وفي محاولة يائسة، أمسك عودا من أعواد الذرة، ولكن العود انكسر مع ثقله، فاختلَّ توازنه، وسقط أرضا..

ومع رعبه الشديد، شعر بتلك الأقدام تتوقف، على قيد خطوة واحدة منه..

ثم انتفض جسده بكل رعب الدنيا، عندما شعر بيد رقيقة توضع على كتفه، مع صوت أنثوي متوتر، يكرر النداء باسمه..

وبينما يستدير ليدفع تلك اليد عن كتفه، ارتطم بصره بوجهها..

وجه أنثوي، وسط ملاءة سوداء، تحيط به..

وصرخ (فتحي)..

وصرخ..

وصرخ..

«ما الذي أصابه؟!»

نطقها ضابط النقطة في دهشة، وهو يتطلع إلى (فتحي)، الذي اتسعت عيناه، وراح يضرب الهواء بذراعيه، وكأنما يدفع عنه عدوا مجهولا، وقد حملت ملامحه كلها علامات الرعب والجنون، فأجابته (سيدة) زوجة شيخ خفر القرية في ارتباك وانفعال:

لست أدري يا باشا.. لقد شاهدته يسير وسط الحقول، متجها إلى حيث ترعة القرية، وأدركت أنه قد ضل طريقه، فأسرعت خلفه؛

لأحذره من هذا، ولكنه راح يعدو نحو الترعة، وعدوت خلفه أناديه، حتى لا يسقط فيها، وعندما تعثر أردت أن أساعده على النهوض، ففوجئت به يصرخ في شدة، وقد أصابه ما أصابه.

تطلع ضابط النقطة في إشفاق إلى (فتحي)، وهو يغمغم:

- المسكين أصيب بالجنون، وملامحه توحى بأنه قد شاهد ما أثار رعبه، وأفقده صوابه.. أي شيء يمكن أن يفعل برجل ناضج هذا؟!!

كان (ممدوح) يعلم الجواب..

ولكنه لم ينبس بحرف واحد..

فخشيته من المسئولية أطلقت في أعماقه نداء الصمت..

ويا له من نداء!

☆ ☆ ☆ ☆

## ميمي الصغير..

انهزم المطر في غزارة في تلك الليلة من ليالي الشتاء، وأسرع "محمود" يحثّ الخطي، محاولاً عبور تلك المنطقة من الميدان الكبير؛ للاحتماء بإحدى الشرفات البارزة، من المطر المنهمر..

كانت عقارب الساعة ما زالت تُشير إلى السادسة مساءً، ولكن الغيوم الكثيفة التي غطت السماء أوحّت بوقت أكثر تقدماً، وأضفت على الميدان كله طابعاً كثيباً، على الرغم من السيارات التي تعبره وتزاحم حركة المرور فيه؛ بسبب الأمطار الغزيرة، مع خلوه من المارة تقريباً؛ للاحتماء معظمهم بمداخل البنايات؛ أملاً في انتهاء تلك النوة البحرية العنيفة.

ولم يكد يصل إلى ذلك المكان أسفل شرفة كبيرة حجبت المطر من بقعة صغيرة، أدهشه ألا يحتمي بها سواه، حتى ألصق ظهره بالجدار، ولهث على نحو لا يتناسب مع المسافة التي قطعها، وغمغم:

- متى ينتهي هذا المطر!؟!

لم يكد ينطقها، حتى تناهى إلى مسامعه بكاء طفل..

كان بكاء خافتاً، ينبعث من ممر بين بنايتين، ويجاور موضعه تماماً..

وفي قلق وفضول، حاول "محمود" أن يميل بجسده؛ ليُلقي نظرة على ذلك الممر، إلا أن المطر الغزير جعله يترجع مرة أخرى، ويلتصق بالجدار..

ولكن بكاء الطفل تواصل..

وتواصل..

كان بكاء حاراً، انفطر له قلبه، فلم يحتمل البقاء في مكانه، وإنما مال بجسده، تاركاً المطر ينهمر فوقه، وهو يطل على الممر الضيق الذي بدا مظلماً للغاية، وهو يهتف:

- من هناك!؟!

لم ينقطع بكاء الطفل مع ندائه، وإن بدا شديد الوضوح، وهو يضع رأسه عند مدخل الممر، فتردد لحظة، ثم غادر مكمنه إلى حيث ينهمر المطر، ووقف عند أول الممر، يتساءل:

- لماذا تبكي!؟!

ومع سؤاله، لمح ذلك الطفل لأول مرة..

كان ينكمش مرتجفاً خلف صندوق قمامة كبير، وكأنما يحتمي به من المطر، ويواصل بكاءه، وكأنه لم يسمع السؤال..

وبحركة سريعة، تقدّم "محمود" نحو صندوق القمامة، والمطر يغرق وجهه وجسده، ومال من خلفه؛ ليُلقي نظرة أقرب على الطفل..

كان طفلا في الخامسة من عمره تقريبا، ينكمش على نحو مثير للشفقة، ويرتدي ملابس جيّدة الصنع، تشير إلى أنه ليس طفلا من أطفال الشوارع، وإنما طفل أسرة جيّدة..

وكان وجهه وأطرافه مائلة للزرقة، مع برودة الطقس وانهمار المطر، وهو ما جعل "محمود" يسأله مشفقا:

- ما الذي أتى بك هنا؟!

وفي بضع، مال الطفل ببصره نحوه، وبدت عيناه الواسعتان مغرورقتين بالدموع، وهو ينظر إليه، وشفته الزرقاويين ترتجفان على نحو عجيب..

وبلا تردّد، خلع "محمود" سترته، وناولها للطفل، محتملا المطر المنهمر على جسده، وهو يغمغم متعاطفا:

- أنت ترتجف بردا..

لم يمد الطفل يده لالتقاط السترة؛ فوضعها "محمود" على كتفيه، وهو يغمغم مشفقا:

- يا إلهي!! أنت بارد كالثلج.

واصل الطفل بكاءه، وإن خفت صوته قليلا، وهو يتطلّع إلى "محمود" الذي حاول أن يبتسم؛ ليبث بعض الطمأنينة في نفسه، وهو يقول في خفوت:

- أنت تائه.. أليس كذلك؟!

تطلّع الطفل إلى عينيه مباشرة، وهو يقول شيئا ما في خفوت، على نحو لم يميّزه "محمود"، فمال نحوه يسأله:

- ماذا تقول؟!

ارتفع صوت الطفل قليلا، ليُميّز "محمود" كلمته الوحيدة:

- "ميمي"..

أرّهف "محمود" سمعه لحظة، ثم اعتدل، قائلا:

- اسمك "ميمي"؟!

كرّر الطفل، وبكاؤه يقلّ تدريجيا:

- "ميمي"..

اعتدل "محمود"، وعلى الرغم من المطر الذي ما زال ينهمر في غزارة، شعر بالكثير من الارتياح، وهو يسأله:

- اسمك لطيف يا "ميمي"، ولكن كيف وصلت إلى هنا؟!



لم يزد الطفل عن ترديد اسمه فحسب، ثم عاد إلى صمته، وهو يتطلع إلى عينيّ  
"محمود" مباشرة، وكأنه يُناشده أن يفهمه..

واعتل "محمود" يتطلع إليه بدوره..

إنه طفل تائه..

ما من شك في هذا..

ملامحه وثيابه تدلان على أنه من أسرة معقولة..

و..

وفجأة، سطع البرق في السماء، وتلاه هزيم الرعد؛ فانتفض جسد "محمود" في  
شدة..

ولكن "ميمي" لم يتأثر..

لقد ظلّ على نفس موضعه، يتطلع إلى عينيّه مباشرة، وكأنما لا يرى سواهما..

وفي دهشة، تطلع إلى "محمود" متسائلا: كيف لم يفزعه هزيم الرعد الذي كان أشبه  
بدوي القنابل..

ثم قفز الجواب إلى ذهنه بغتة..

إنه طفل أصم..

هذا هو التفسير المنطقي..

فلهذا لم يسمعه، عندما ناداه في البداية..

ولهذا يُردّد اسمه فقط، مع كل سؤال..

وبمنتهى الإشفاق، غمغم "محمود":

- يا للمسكين !!

طفل أصم..

تائه..

جائع..

وحيد..

وتحت هذا المطر الغزير..

يا لها من صورة تحطم أشدّ القلوب قسوة وتحجّر..

وبكل مشاعره وألمه، مدّ "محمود" يده إلى الصغير، قائلا:

- هيا.. سنجد لك أولا مكانا تجف فيه ثيابك .

نظر الطفل إلى اليد الممدودة إليه، في خوف حذر؛ فرسم "محمود" على شفثيه ابتسامة، وهز رأسه في رفق، وهو يغمغم:

- هيا .

كان يُفكر في حمل الطفل إلى أحد مطاعم الوجبات السريعة في الميدان؛ حيث يجد الدفء والطعام والأمان..

ولكن الطفل لم يستجب..

لقد عاد ينكمش في خوف، ويتطلع إلى عيني "محمود" مباشرة..

وحاول "محمود" أن يوسع ابتسامته، وهو يغمغم مشفقاً:

- لا تخف.. سنجد أهلك قريباً بإذن الله.

تطلع إليه الصغير لحظات، ثم رفع يده في بضع، وأشار إلى عمق الممر..

وعلى نحو غريزي، تبع "محمود" إشارته ببصره..

وهناك، ووسط ذلك الظلام الذي غطى الممر الضيق، المحصور بين بنايتين عاليتين، لمح ذلك الجسم الملقى عند نهاية الممر..

وفي هذه المرة، انتفض جسده أكثر واتسعت عيناه، وهو يغمغم:

- يا إلهي!

وبسرعة، عاد يبصره إلى الصغير، هاتفاً:

- أهو والدك؟!!

كرّر الصغير في خوف حزين:

- "ميمي".

اعتدل "محمود" واتسعت عيناه أكثر، وهو يقول بارتجاف انفعال هذه المرة:

- "ميمي"؟! أهى أمك؟!!

نهض الصغير في هدوء، ومدّ يده إليه، وهو يشير مرة أخرى إلى عمق الممر، قائلاً في صوت اختلط بالنعيب:

- "ميمي".

أمسك "محمود" يد الصغير التي بدت باردة كالتلج، وقاوم انفعالاته، وهو يغوص معه في قلب الممر، متجهاً نحو ذلك الجسد في نهايته..

لم يكن قد رأى جثة في حياته كلها، لذا فقد واصل جسده ارتجافاته، وهو يقترب منها في حذر، وقد تشبّث الصغير بيده في قوة..

وعلى الرغم من أن عمق الممر لم يزد عن ستة أمتار؛ فإنها بدت له أشبه بكيلومتر كامل، وهو يقترب من ذلك الجسم..

ويقترب..

ويقترب..

ومع الظلام الشديد، وقف على بُعد خطوة واحدة من ذلك الجسد الذي بدا مغطى بقطعة كبيرة من القماش، وتردد لحظات، وهو يغمغم:

- أظن أنه من الأفضل أن نتصل بالشرطة .

عاود الصغير نحيبه، وهو يشير إلى ذلك الجسم، فتردد "محمود" لحظة أخرى، ثم انحنى يجذب ذلك الغطاء، و..

وانسعت عيناه في دهشة بالغة..

فأسفل الغطاء لم تكن هناك جثة..

كانت هناك فقط حفرة عميقة واسعة..

وفي دهشة بالغة، التفت إلى الصغير الذي أفلت يده، مغمما:

- ولكن..

لم ينطق حرفا آخر بعد الكلمة..

ففي تلك اللحظة، سطع البرق مرة أخرى..

وانتفض "محمود"، أعنف انتفاضة، منذ بدء ذلك الموقف كله..

فعلى ضوء البرق، لمح ملامح "ميمي" الصغير واضحة..

لم تكن بشرته مائلة إلى الزرقة..

بل كانت زرقاء بالفعل..

وكان وجهه مغطى بالتراب، وكأنه خرج من قبره منذ لحظات..

وما أثار رعبه أكثر، هو تلك النظرة المخيفة، المطلّة من عيني الصغير، مع تلك الابتسامة المرعبة على شفثيه..

أما ثيابه، فلم تعد أنيقة..

ولم تكن ثيابا شتوية، تناسب الطقس..

كانت ثيابا صيفية خفيفة جدا..

وبكل رعبه، تراجع "محمود"..

ودون أن يدري، تجاوز حافة تلك الحفرة العميقة..

وهوى..

ومع هزيم الرعد، انطلقت صرخته المدوية..

ومع هزيم الرعد أيضا، لم يسمعها أحد.

وبينما يلفظ أنفاسه الأخيرة، في عمق الحفرة، شعر بالجنث الأخرى من حوله..

وتحسست يده جثة طفل صغير..

في ثياب صيفية..

وفي نفس اللحظة التي فاضت فيها روحه، كان "أدمون" يحتمي من المطر الغزير،

بتلك الشرفة الواسعة، عند مدخل الممر، عندما سمع بكاء طفل صغير..

طفل "كان" اسمه "ميمي"..

☆ ☆ ☆ ☆

# مرحباً..

انطلق عواء ذئب بعيد، وسط سكون تلك المنطقة الريفية، في محافظة كفر الشيخ، فارتجفت نادية في خوف، وحاولت أن تلتصق بزوجها وفيق، الذي أوقف سيارته، إلى جوار ترعة صغيرة، وهي تقول في خفوت مذعور:

- وفيق... من الواضح أننا قد ضللنا الطريق..

لم يكن توتره بأقل منها، إلا أنه حاول أن يخفيه في أعماقه، وهو يغمغم:

- يبدو هذا.

سألته في خوف:

- ماذا سنفعل إذن؟! المكان مقفر تماماً، وهذا الطريق المختصر الذي قلت إنك تذكره جيداً، لم نعثر فيه على أي شيء، طوال نصف ساعة أو يزيد.

بدا عصبياً، وهو يقول:

- لست أدري كيف حدث هذا؟! لقد عبرت هذا الطريق أكثر من مرة، وكان يقودني دوماً إلى المدينة، في أقل من عشرين دقيقة.

غمغمت مرتجفة:

- ربما أخطأت الطريق.

هتف، في عصبية أكثر:

- مستحيل! المرء لا يخطئ طريقاً يعبره مرتين أسبوعياً على الأقل.

التصقت به أكثر، وهي تسأله، في لهجة أقرب إلى البكاء:

- ولكننا ضللنا الطريق بالفعل، فماذا سنفعل؟!!

كان توتره في الواقع يفوق توترها ألف مرة، خاصة وهو يستعيد ذكريات قديمة، حاول طوال عشر سنوات محوها من ذاكرته، والتظاهر بأنها لم تحدث قط..

تلك الذكريات، التي ترتبط بالساقية القديمة، التي يلمحها من بعيد، على ضوء القمر... مستحيل أن يكون قد اختار هذا الطريق الفرعي البعيد بإرادته!!

مستحيل!!

إنه يبعد ثلاثة كيلومترات، عن مدخل الطريق المختصر، الذي اعتاد عبوره إلى المدينة، منذ أكثر من خمس سنوات..

ثم إن مدخله مهمل ضيق، يصعب أن تعبره سيارة..

فكيف وصل إليه؟!!

كيف؟!!

أ يكون قد عبر دون قصد طريقاً فرعياً نقله من طريقه المعتاد، إلى ذلك الطريق القديم المهجور؟!!

ولكن كيف؟!!

طوال خمس سنوات لم يلمح أبداً طريقاً فرعياً، خلال عبوره ذلك الطريق المختصر القصير..

ثم إنه وحتى في عقله الباطن سيتلاشى حتماً مجرد رؤية هذا الطريق المهجور..

هذا لأنه، ومهما حاول، لا يستطيع نسيان ما حدث فيه، منذ عشر سنوات..

“ليس أمامنا سوى أن نعود أدر اجنا..”

غمغمت نادية بالعبارة، في صوت خافت مرتجف، فالتفت إليها بعصبية، قائلاً:

- الطريق أضيق من أن تدور فيه السيارة.. إنه يستوعبها بالكاد..

غمغمت، ودموعها تسيل بالفعل:

- فلنواصل طريقنا إذن؛ لعل الطريق يقودنا إلى مكان مأهول.

لم يكن هناك بالفعل حل آخر، على الرغم من انتشار البراري في المنطقة، ما دام البقاء غير وارد، مع عواء الذئاب الآتي من بعيد، ومع وجود تلك الساقية القديمة تحت بصره..

فما زالت تلك الذكريات القديمة تطارده..

وتخيفه..

ما زال يذكر في وضوح مروره في هذا الطريق المهجور، منذ عشر سنوات، عندما كان شاباً جامحاً، يميل إلى المغامرة والتجريب، وكيف أنه -وعلى الرغم من وعورة الطريق- انطلق عبّره في سرعة، وهو يستمع إلى أغنية حديثة، بمقياس ذلك الزمن، ويطلقها في صوت مرتفع، و...

وفجأة، ظهر أمامه ذلك الشاب..

لم يدر من أين جاء، ولا ماذا كان يفعل في طريق مهجور كهذا، ولكنه برز فجأة أمام سيارته..

ولم يكن هناك مفر من الاصطدام به، و..

“ألن نواصل طريقنا؟!!”..

ألقت نادية السؤال في خفوت، امتزج بنحيبها المذعور، فالتفت إليها لحظة، خلت فيها مشاعره من أي شيء، قبل أن يغمغم:

- بالتأكيد.

كان المضي يعني المرور إلى جوار تلك الساقية القديمة، التي لم يتصور رؤيتها مرة أخرى، والتي تلقي ظلالاً مخيفة أمامها، مع ضوء القمر، الذي توسّط السماء بديراً مكتملاً، إلا أنه التقط نفساً عميقاً، في محاولة تهدئة أعصابه الثائرة، وبدأ يتحرك بالسيارة في بطء، وعيناه معلقتان بتلك الساقية القديمة، وذكرياته تتدفق في رأسه، على الرغم منه..

إنه ما زال يذكر مشهد ذلك الشاب، وهو ملقى أمام سيارته، غارقاً في دمائه، بعد أن ارتطم به في عنف..

يومها أصابه هلع شديد..

لم يدر ماذا يفعل، بعد أن ارتطم بالشاب، وعبر على جسده بالسيارة، قبل أن ينجح مع توتره في إيقافها، وتلك الأغنية الحديثة ما زالت تتطلق عالية..

وفي زهول مذعور وقف يتطلع إلى جثة الشاب، دون أن يجرؤ حتى على فحصه، والتأكد مما إذا كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة، أم ما زالت بقايا الروح تدب في جسده الصغير..

وفي ذهنه يومها تدفقت عشرات المخاوف..

الشرطة..

والتحقيقات..

والسجن..

كل هذا دار في ذهنه، وهو يتطلع إلى جثة الشاب، قبل أن يتخذ ذلك القرار المخيف، الذي غير مسار حياته كلها..

“أسرع يا وفيق.. هذا الطريق يخيفني جداً“.

نطقها نادية في رعب واضح، وسمعتها هو جيداً، ولكن ولسبب ما، كانت قدمه تمنعه من ضغط دواسة الوقود في قوة كافية؛ لعبور تلك الساقية القديمة في سرعة..

كان وكأنه في عقله الباطن يخشى عبورها؛ حتى لا يستعيد ذكرى ذلك اليوم الرهيب..

ولكنه استنفر كل أعصابه، وضغط الدواسة..

وأسرعت السيارة..

...

وفجأة، تجمّدت الدماء في عروقه، وتساعد نبضه إلى درجة مخيفة، واتسعت عيناه عن آخرهما في رعب، وضغط فرامل السيارة بكل قوته، وانطلقت من حلقة، على الرغم منه، شهقة قوية، جعلت نادية تصرخ في رعب:

- ماذا هناك؟!!

حدّق مرعوباً، في ذلك الشاب الريفى، الذي جلس مستنداً إلى دوّارة الساقية القديمة المهجورة، ممسكاً نايّاً صغيراً، في مشهد، كان من المفترض أن يصنع مع ضوء القمر صورة بديعة، ولكنه بدا بالنسبة له أشبه بمشهد رعب، في فيلم من الدرجة الأولى..

ولمحت نادية ذلك الشاب بدورها، فانتفضت لحظة، قبل أن تهتف:

- هناك شاب عند الساقية، يمكنه أن يدلنا على الطريق.

لم يجبهها وفاق، وهو يحدّق في ذلك الشاب في رعب، وقلبه يخفق، كما لم يخفق من قبل..

لم يكن من الممكن أن يرى ملامح ذلك الشاب، الذي راح يعزف لحناً حزيناً على الناي، وكأنه لا يبالي بوجودهما على الإطلاق..

وفي لهفة وأمل، هتفت نادية:

- سله عن الطريق يا وفاق.

ارتجف وفاق لمطلبها، ولم يتصوّر قط أن يقترب من ذلك الشاب، مع تلك الذكريات المخيفة، التي راحت تعصف بكيانه كله..

ذكريات تلك اللحظة، التي حمل فيها جثة الشاب الذي صدمه، وألقى بها في تلك الساقية القديمة المهجورة..

وعاد كيانه كله يرتجف، وهو يتذكر كيف نددت من الشاب آهة ألم، عندما ارتطم بقاع الساقية الجاف..

لم يكن قد لقي مصرعه يومئذ بالفعل..

كانت فيه بقايا من روح..

ولكن الساقية كانت مهجورة وضيقة، حتى إنه لم يجرؤ على الهبوط فيها لإنقاذه..

ولهذا أقدم على أحقر عمل في حياته..

لقد فرّ من المكان، تاركاً ذلك الشاب خلفه، يلفظ أنفاسه الأخيرة، في قاع الساقية المهجورة..

“سأهبط أنا لأسأله“.

قالت نادية في حدة، فالتفت إليها في عصبية، وقال:

- لا.. لن تفعل.

قالت في غضب:

- ولن أبقى هنا أيضاً، وأمامنا فرصة لمعرفة الطريق.

صمت لحظات، محاولاً السيطرة على أعصابه، ودفع عقله إلى التفكير السليم..



أية خرافات تسيطر عليه، في لحظاته هذه؟!!

إنه لم يؤمن أبداً بالأشباح والعماريات..

إنه مجرد شاب حالم، تصادف وجوده في المكان نفسه..

مجرد مصادفة..

ونادية على حق.. لن يضيع فرصة الطريق؛ بسبب مخاوف بدائية سخيفة... التقط  
نفساً آخر عميقاً، وفتح باب السيارة في حسم، مغمغماً:

- سأسأله أنا..

تعالى عواء ذئب آخر من بعيد، أثار في كيانه رجفة شديدة، وإن بدا من الواضح أن  
عازف الناي لم يبالي به إطلاقاً، شأن من اعتاد هذه الأمور، فدفع قدميه دفعا في  
اتجاهه، حتى صار على قيد خطوات منه، فسأله في صوت، عجز عن إخفاء  
ارتجافته الواضحة:

- هل يمكنك أن ترشدنا إلى طريق للخروج من هنا إلى المدينة.

توقف الشاب عن العزف، وغمغم:

- مرحباً.

لم يدر وفاق ما الصلة بين سؤاله وجواب الشاب، فمال نحوه يكرّر سؤاله:

- كيف نخرج من هنا إلى المدينة؟!!

كرّر الشاب بنفس اللهجة:

- مرحباً.

ثم استدار إليه في بطم، وابتسم ابتسامة كبيرة، وهو يضيف:

- إنني انتظرك منذ زمن طويل.

وترجع وفاق كالمصعوق، وهو يطلق صرخة رعب هائلة، واتسعت عيناه عن  
آخرهما، مع تلك الدماء، التي تغرق وجه الشاب وجلبابه..

وبقفزة أشبه بالذئب، انقضّ عليه الشاب، ودفعه أمامه..

إلى قاع الساقية القديمة..

وصرخ وفاق..

وصرخت نادية...

وظلت تصرخ..

وتصرخ..

وتصرخ...

“ولكن هذا مستحيل يا سيدتي!”

قالها وكيل النيابة، وهو يتطلع إلى نادية، التي انهارت تماماً، قبل أن يلتقط تقرير البحث الجنائي، ويواصل:

- تلك الساقية مهجورة منذ أكثر من عقدين من الزمان، وما تبقى من فتحتها، لا يكفي لمرور جسد في حجم جسد زوجك.

هتفت في انهيار:

- ولكنني رأيت الشاب يدفعه داخلها، ويهبط معه فيها.

هزّ وكيل النيابة رأسه، وهو يقول:

- تقرير البحث الجنائي، والمعامل الجنائية، وحتى الطب الشرعي، لا تتفق مع روايتك أبداً... قاع الساقية كان مغموراً بالرمال والطين الجاف، ولا يوجد أي أثر لسقوط أي شيء فيها مؤخراً، ولقد عثرنا فيها على جثة قديمة لشاب، من الواضح أنه لقي مصرعه في أعماقها، منذ عشر سنوات على الأقل.. أخبرينا الحقيقة... ماذا حدث هناك بالفعل!؟

وبكت نادية في انهيار، وعقلها يستعيد آخر كلمة سمعتها من ذلك الشاب، قبل أن يختفي مع زوجها في قاع الساقية المهجورة..

“مرحباً”.

☆ ☆ ☆ ☆

## إلى الأبد..

انتفخت أوداج منير فخراً وزهواً، وهو يتحسّس سيارته الجديدة، التي ابتاعها له والده، في عيد مولده الحادي والعشرين..

كان ابناً وحيداً لملياردير كبير، من مليارديرات الصناعة، يمتلك عدداً من المصانع، في مختلف الصناعات...

ثياب، وأدوات كهربية، وثلاجات، ومواقد طهي، ومصانع للسيراميك والأدوات الصحية، وغيرها..

وكل هذا بالإضافة إلى عدد من المطاعم الفاخرة..

وفندقين..

وقرية سياحية شهيرة..

كان يمتلك العديد من كل شيء..

حتى الزوجات..

وعلى الرغم من زواجه بتسع زوجات مختلفات، نصفهن من دول أوروبا وآسيا، إلا أنه لم ينجب سوى منير..

فقط منير..

ولأنه ابنه الوحيد، الذي سيرث الثروة الطائلة، لم يبخل عليه الوالد الملياردير بأي شيء على الإطلاق..

كان يلبي كل مطالبه..

بلا استثناء..

وبلا مناقشة..

ولهذا نشأ منير مدلاً، مغروراً، أنانياً، لا يرى في الحياة كلها سوى نفسه..

ونفسه وحدها..

وعندما شاهد إعلان تلك السيارة الرياضية الجديدة، التي تحوي نظاماً إلكترونياً رقمياً متطوراً، يجعلها أشبه بشخص آلي يجري على عجلات، أصرّ على أن يكون أول من يمتلكها في مصر كلها..

كانت السيارة تساوي مليون دولار تقريباً، وعلى الرغم من هذا، لم يتردد الأب في إرسال مندوب خاص من شركاته؛ لاقتياع النسخة الأولى من السيارة، وشحنها معه إلى مصر...

ولقد بلغت رسومها الجمركية مبلغاً خرافياً، أدهش رجال الجمارك أنفسهم، ولكن ما أدهشهم أكثر هو تلك البساطة والسرعة اللذين تم بهما دفع الرسوم، حتى تخرج السيارة إلى الشارع في أسرع وقت ممكن..

وفي دائرة المرور، التفّ الكل حول السيارة، يتأملونها في إعجاب وانبهار.. وحسد أيضاً..

وهذا ما انتفخت له أوداج منير..

كان دوماً يعشق أن يُبهر الناس بما لديه..

وبما يمتلكه..

ولقد انتفخت أوداجه أكثر عندما خرج الكل يلقون نظرة على سيارته، وهي تغادر دائرة المرور، حاملة ذلك الرقم المميّز، الذي دفع فيه ثروة حقيقية أيضاً..

وحتى في الطريق، كانت السيارات وعيون المارة تلاحقه..

الكل انبهر بالسيارة..

والكل حسد راجبها..

وعلى الرغم من أن منزله لا يبعد سوى دقائق قليلة عن دائرة المرور، فقد طاف منير نصف شوارع القاهرة بسيارته؛ ليتمتع بانبهار الناس، قبل أن يعود بها إلى قصر والده المنيف، وهو يكاد يحترق شوقاً للذهاب بها إلى كليته، في الصباح التالي، ورؤية الانبهار والحسد في عيون زملائه..

وبخاصة "جينا"..

إنها أجمل فتاة في كليته كلها، وطالما حاول جذب انتباهها ومحبتها إليه، ولكنها لم تبد يوماً اهتماماً بثرائه البالغ، ولا حتى وسامته المفرطة..

هذا لأنها- ويا للعجب- وقعت في حب زميله أجدد..

يا لها من حمقاء!!

إنه لم يدرك أبداً لماذا اختارت عادة مثلها ذلك الشاب المتواضع، الذي يرتدي طول الوقت سروالاً رخيصاً، من الجينز المحلي، وقمصان يبتاعها حتماً من الأسواق الرخيصة، في العتبة، أو وكالة البلح!!

ولم يحاول أبداً أن يسألها عن السبب..

كبرياؤه لم يسمح له بهذا..

وسخاؤه الشديد مع زملائها، لم ينجح في جذب انتباهها..

ولا اهتمامها..

كان يدعو الجميع إلى غداء فاخر، في فندق والده الفخم، فتعذر هي؛ لتقضي بعض الوقت مع أمجد، في كافيتريا الكلية المتواضعة..

وهذا يثير حنقه بشدة..

وغيرته أيضاً..

أو أنه، لو شئنا الدقة، يشعر بجرح غائر في كبريائه..

ولكن كل هذا سينتهي حتماً، في الصباح التالي..

سيارته ستبهر الكل بلا شك..

حتى هي..

امتلأت نفسه بالفكرة، وراح يتخيل نظراتها لسيارته، التي اختار لها لوناً أحمر زاهياً، يستحيل ألا تلاحظه عين..

وعندما وصل إلى قصر والده، كانت الفكرة قد اختمرت في رأسه تماماً، حتى إنه لم ينتبه إلى والده، وهو يتجه إليه، حتى سمعه يقول:

- ألف مبروك... السيارة تستحق بالفعل...إنها مبهرة..

ابتسم منير ابتسامة واسعة، وهو يقول:

- حقاً؟!!

تحسّس والده جسم السيارة، وهو يغمغم:

- دون أدنى شك.

ثم اعتدل يردف مبتسماً:

- ولكنها في النهاية مجرد سيارة.

أجابه منير في غضب:

- ليست مجرد سيارة.. إنها أروع سيارة في العالم.

غمز والده بعينه، قائلاً:

- مؤقتاً.

نظر منير إليه في دهشة، متسائلاً:

- ماذا تعني؟!!

ضحك والده، وهو يقول:

- أعني أنك ابني الوحيد، وأنا أعرف طباعك جيداً.. ستبهر بالسيارة بعض الوقت، ثم سرعان ما تسأمها، وتمل ركوبها، وتطالب بلعبة جديدة.

هتف منير في عناد:

- خطأ.. لن أتخلي عن هذه السيارة أبداً.

غمز والده بعينه مرة أخرى، وهو يقول مداعباً:

- هل تراهن؟!؟

هتف منير بكل حماسه:

- أراهن.

اعتدل والده، وقال بنفس المرح:

- سأمنحك ستة أشهر.

أجابه منير في إصرار:

- ولا حتى ست سنوات.

ثم ربت على السيارة، كما لو كانت معشوقته، وهو يضيف:

- هذه السيارة ستبقى معي إلى الأبد.

ضحك والده، وهو يقول:

- سنرى.

ثم أشار إليه، مستطرداً:

- أريدك أن تأتي بها غداً إلى مصنع الأوناش.

ارتفع حاجبا منير، وهو يقول:

- ولماذا؟!؟

قال والده في دهشة مستكرة:

- هل نسيت أنني طلبت منك هذا منذ أكثر من أسبوع، حتى تحضر اجتماعنا مع الصينيين؟! إنك سترث كل هذا من بعدي يا منير، وأريدك أن تتعلم كيف أدير العمل، وأعقد الصفقات.

انعقد حاجبا منير في شدة، وهو يقول:

- لا.. ليس غداً.

حملت نبرة والده شيئاً من الغضب، وهو يقول:

- الاجتماع لا يمكن تأجيله.

قال منير في حدة:

- لن أحضره إذن.

بدا الغضب على وجه والده، فاستدرك في سرعة:

- لديّ اختبار مهم في الكلية صباح الغد.

تطلّع إليه والده ملياً، وهو يدرك أنه كاذب، إلا أنه لم يملك إلا أن يقول:

- ألا يمكنك الحضور بعد الاختبار!؟

أجابته منير في حماس:

- بالتأكيد.

رمقه والده بنظرة صامته معاتبة، ثم انصرف وهو يقول:

- فليكن.. سأحاول تأخير الاجتماع قدر الإمكان.

راقبه منير وهو ينصرف، ثم عاد يربّت على سيارته، مغمغماً في اعتزاز:

- أبي على خطأ هذه المرة.. ستبقيين معي إلى الأبد.

لم يستطع النوم تلك الليلة، وهو يفكر في "جينا"، وكيف أنها ستبهر بالسيارة، وتتسى أمجد، ولو لحظات..

مرّ عليه الوقت بطيئاً، دون أن يستطيع حتى إغلاق عينيه، والفكرة تدور في رأسه وتدور، حتى أشرقت الشمس، فأسرع يرتدي أفرّ ثيابه، ويحيط معصمه بساعة من الذهب الخالص، والتقط سلسلة مفاتيح كان يدّخرها لهذه المناسبة، تتدلّى منها ماسة براقة، ووضع فيها مفتاح السيارة الجديدة، وهبط ليربّت عليها مرة أخرى، قبل أن ينطلق بها إلى الجامعة..

لم يستطع -لهفته- انتظار موعد حضور زملائه، لتلك الجامعة الخاصة، وإنما انطلق بسيارته الجديدة، وبأقصى سرعة، عبر الطريق الدائري، في طريقه إلى الجامعة..

كان جفناه مثقلين من عدم نومه، وحماسه يسيطر على عقله ومشاعره، و... وفجأة برزت سيارة النقل الضخمة، ذات المقطورة الكبيرة..

وضغط منير فرامل سيارته الجديدة بكل قوته..

ولكن العوامل اجتمعت؛ لتجعل رد فعله بطيئاً..

أكثر مما ينبغي..

وكانت صدمة والده هائلة، عندما بلغه الخبر..

ولقد تصاعدت صدمته ألف مرة، عندما رأى السيارة بعد الحادث..

لقد ارتطمت بها سيارة النقل الثقيلة..

ثم عبرت فوقها..

بكل ثقلها..

وبأربعة أزواج من الإطارات الهائلة الثقيلة..  
كانت صدمته هائلة، مع مصرع ابنه، ووريثه الوحيد...  
وكانت أشد هولاً، عندما أخبروه بأن جسده قد امتزج بحطام السيارة، وصار من  
المستحيل تخليص بقاياه من حطام السيارة..  
وبعد عدة محاولات فاشلة، لم يعد هناك مفر من قبول الحل الأخير..  
والوحيد..  
لا مفر من دفن ابنه مع السيارة، في كيان واحد..  
ولقد كانت الجنازة هائلة، حضرها مئات من أصدقاء الأب المكلوم، وآلاف من  
العاملين في مصانعه..  
وحضرها كل زملاء منير..  
حتى "جيناً" وأمجد..  
ولقد شاهدوا جزءاً من السيارة..  
ولم ينبهروا..  
فقط بكوا وانتحبوا..  
ولكن منير حقق ما أصر عليه منذ البداية..  
لقد ظلت سيارته الجديدة معه..  
إلى الأبد.

☆ ☆ ☆ ☆



## رنات..

«إش.. إش.. ده إيه الحلاوة دي»

انتفخت أوداج (فتحي)، عندما استقبله صديقه (حمزة) بهذه العبارة، في المقهى الذي اعتاد الجلوس عليه، في الحي الشعبي الشهير وأحاطت أصابعه بذلك الموبايل الفخم في زهو واضح، وهو يلقي جسده على المقعد المعدني، قائلاً:

- آخر موديل.. فيه كاميرا..

ضحك صديقه (فتحي)، وهو يقول:

- لطشته منين ده يا واد.. ده يجيله بيجي بألف جنيه..

لوح (حمزة) بذراعه كلها مستكرا، وهو يهتف:

- يا عم روح.. ده المستعمل بتاعه يعمل ألفين بالميت في السوق..

انبهر (حمزة) بالرقم، الذي يساوى يوميته كعامل محارة، في مائة يوم كاملة، ومال نحوه يسأله:

- واتحصلت عليه إزاي ده ياد؟

هز (فتحي) كتفيه، وهو يقول بنفس الزهو، وظهره يلتصق بالمقعد في عننطة:

- زي الناس..

كان جوابا عاما، لا يعني شيئا بالتحديد، وعلى الرغم من هذا فقد اكتفى به (حمزة)، وتجاوز سؤاله كله، عندما أضاف (فتحي)، في صوت قوى، يخالف تماما صوته الضعيف المستكين، الذي التصق به، بعد أسابيع طويلة من البطالة:

- واللييلة دي المشاريب على حسابي كمان..

كانت ليلة نادرة، دفع فيها (فتحي) حساب المشروبات، لثلاثة من أصدقائه، بورقة من فئة العشرين جنيها، وتناول بعض شطائر اللحوم، وزجاجة من البيرة المثلجة، قبل أن يستعد للانصراف، فضحك صديقه (حمزة)، وهو يودعه، قائلاً:

- يا إما أنت لطشه، يا ورثت ورث ثقيل..

ولم يجب (فتحي) عبارته، أو يعلق عليها، وهو يتجه نحو البناية، التي يقيم في حجرة صغيرة على سطحها، والتي تسد تلك الحارة الصغيرة بعد ناصية المقهى..

كانت حجرته تعلقو خمسة طوابق، صعدها وهو يترنح، من فرط الزهو والنشوة، وما إن دخل حجرته الصغيرة، حتى أغلق الباب خلفه، وأسند ظهره إليه، وتطلع إلى ذلك الموبايل الفاخر، وذهنه يستعيد أحداث بداية الليلة..

كان يسير في ذلك الشارع المقفر المظلم، عندما لمح ذلك الشاب..

شاب في الخامسة عشرة من عمره على الأكثر، يرتدى ثيابا تشف عن الثراء والدعة، ويمسك ذلك الموبايل الأنيق..

كان من الواضح أنه قد ضل طريقه، لسبب أو لآخر؛ إذ لم يكن من المنطقي أبدا أن يتواجد شاب مثله، في منطقة كهذه..

وبالنسبة له، بدت هذه فرصة، ما بعدها فرصة..

وفي شراسة اكتسبها من حياته القاسية، استل مطواته، واندفع نحو ذلك الشاب، وصرخ في وجهه، يأمره بإعطائه ذلك الموبايل، وكل ما يحمله من نقود أيضا..

وكما توقع تماما، أصيب الشاب بفزع رهيب، وأعطاه الموبايل، وعشرين جنيها كان يحملها، وتضرع إليه أن يتركه لحاله بعدها..

وكان من الممكن أن يتركه (فتحي)، بعد أن استولى على ساعته أيضا، إلا أن شيطانا ما في أعماقه دفعه إلى فكرة خسيصة مجنونة، لم يفق منها إلا وهو يسحب مطواته من قلب ذلك الشاب المسكين، الذي اتسعت عيناه عن آخرهما، في مزيج من الألم والرعب، وحاول منع ذلك النهر الدموي، الذي تفجر من صدره، وحملت عيناه نظرة اتهام، لم تلبث أن تحولت إلى لمحة بغض وكراهية، قبل أن يسقط عند قدمي (فتحي) جثة هامة..

وبأقصى سرعته، انطلق (فتحي) يعدو مبتعدا، ويتنقل من شارع إلى آخر، حتى بدا له أنه قد ابتعد تماما عن مسرح جريمته، وأن أحدا لن يصل إليه، فتوقف، والنقط أنفاسه، وذهب للقاء (حمزة) في المقهى..

وعلى فراشه الرث، شبه المتهاك، أمسك الموبايل، وقلبه بين يديه، محاولا تخمين سعره الحقيقي، والمبلغ الذي سيحصل عليه عندما يذهب لبيعه في سوق الحرامية، يوم الجمعة القادمة..

ولأن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، فقد غلبه النوم، وسقط الموبايل من يده على الفراش، وراح في سبات عميق، و..

وفجأة انطلق رنين الموبايل..

انطلق على نحو ارتجفت معه أوصاله كلها، ووثب لها جسده بأكمله، واتسعت به عيناه، وهو يحدق فيه في ذعر، قبل أن ينتبه إلى الموقف، ويختطفه بحركة حادة، محاولا معرفة رقم المتصل..

إنهم أهل ذلك الشاب حتما، وقد أفلقتهم غيبته، ويحاولون الاطمئنان عليه عبر الموبايل..

ولكن الشاشة كانت خالية، لا تحمل أية أرقام، والرنين يتصل..

ويتصل..

ويتصل بلا انقطاع..

وفي أعرق أعماقه، تصاعد توتر لا محدود، من ذلك الرنين المتصل، فقلب الموبايل مرة أخرى بين يديه، حتى عثر على زر إغلاقه، فضغطه بكل قوته، وعاد إلى نومه..

لم يدر كم استغرق في النوم هذه المرة، ولكنه استيقظ على نفس النحو المذعور، وعاد يحدق في الموبايل، المستقر إلى جواره على الفراش، ورنينه يتردد بصوت تضاعف علوه، مع صمت الليل..

ولثوان، حدق فيه بشيء من الذعر، فهو يتذكر جيدا أنه قد أغلقه تماما..

لم يوقف رنينه فحسب، ولكنه أغلقه..

أو ربما خيل إليه هذا..

لم تسعفه ذاكرته جيدا، فمال يتطلع مرة أخرى إلى الشاشة، التي لم تحمل أية أرقام كالمرّة السابقة، ثم ضغط زر إغلاق الموبايل، ليتوقف الرنين على الفور..

وفي هذه المرّة تساءل، لماذا ترك الشريحة في الموبايل؟

وجودها هو سبب ذلك الرنين المزعج، الذي يثير رجفة عجيبة في أوصاله..

وفي عصبية، فتح الموبايل، والتقط منه الشريحة، واتجه نحو النافذة الصغيرة، المطلة على الشارع، وألقاها بكل قوته..

وعاد للنوم..

ولكن فجأة انطلق رنين الهاتف مرة أخرى..

انطلق بصوت أكثر اتصالا..

وأكثر ارتفاعا..

وهنا حدق فيه (فتحي) بمنتهى الرعب..

لقد انتزع الشريحة، وألقاها من نافذته، فكيف يمكن أن ينطلق الرنين..

وبأصابع مرتجفة، التقط الموبايل، وتطلع إلى شاشته، التي لم تحمل أية أرقام كالمعتاد، ثم استجمع شجاعته وضغط زر الاتصال، وهو يضع الموبايل على أذنه..

ولو هلة، لم يسمع أية أصوات، ثم خيل إليه فجأة أنه يسمع صوتا باهتا مبحوحا، يأتي من بعيد، بهمة غير مفهومة..

صوت ذكره بشيء ما وأطلق قشعريرة باردة كالتلج في أوصاله أيضا..

وبحركة حادة، كمن لدغه عقرب، ألقى (فتحي) الموبايل بعيدا، وتراجع في فراشه، محاولا السيطرة على جسده الذي راح يرتجف كريشة في مهب الريح..

وفي أعرق أعماق عقله، راح يسترجع كل ما سمعه من معلومات عن أجهزة الموبايل بكل أنواعها..

نعم.. لقد سمعهم يتحدثون عن موبايل بروحين..

موبايل يمكنك أن تضع فيه شريحتين، برقمين منفصلين..

هذا الموبايل من ذلك الطراز حتما، وهو ألقى إحدى الشريحتين، وظلت الثانية داخله..

نعم..

هذا ما حدث..

الفكرة جعلته يقفز ليلتقط الموبايل، ويعبث فيه مرة أخرى؛ بحثاً عن تلك الشريحة الثانية..

وبينما يفعل هذا، انطلق رنين الموبايل بين أصابعه بغتة، حتى إنه أطلق صرخة رعب، وألقاه بعيداً عنه..

لم يدر ماذا حدث بالضبط، ولا كيف حدث هذا، ولكن الموبايل لم يكذب يرتطم بالأرض، حتى توقف فجأة عن الرنين، وانبعث منه صوت ما..

صوت لم يبد مسموعاً أو واضحاً من موضعه؛ لذا فقد اقترب منه في حذر، وانحنى يلتقطه بأصابع مرتجفة، محاولاً فهم ما يقوله ذلك الصوت..

كان صوتاً عجيبياً، يبدو وكأنه ينبعث من أعماق سحيقة، ويردد كلمة ما، اضطر (فتحي) إلى وضع الموبايل على أذنه ليسمعها..

وسمعها..

وانتفض جسده كله بمنتهى العنف..

فذلك الصوت، الذي يأتي من أعماق سحيقة، كان يردد كلمة

واحدة..

«قاتل»..

وبكل رعب الدنيا، انتزع (فتحي) بطارية الموبايل، وألقاها بكل قوته، لترتطم بالجدار، وترتد إلى منتصف الحجرة بعنف..

ولكن جسده لم يتوقف عن الارتجاج..

تلك الليلة لا تريد أن تمضي أبداً، على الرغم من أنه، ولأول مرة في حياته، ينتظر شروق الشمس بفارغ الصبر..

فحجرتة بلا كهرباء، وهو يعتمد دوماً على أضواء الشارع لإنارتها؛ لأنه لا يملك ما يدفع به تكاليف استهلاك التيار الكهربائي..

ومنذ سنوات، اعتاد العيش في الظلام، وألفه..

إلا في هذه الليلة..

وبجسد لم تتوقف ارتجافته، عاد إلى الفراش، وجذب الغطاء نصف الممزق عليه،  
و..

وانطلق رنين الموبايل..

وهوى قلبه بين قدميه بمنتهى العنف..

مستحيل أن يحدث هذا..

مستحيل..

ذلك الموبايل الملعون بلا بطارية..

وبلا شريحة..

ولكن رنينه ينطلق، ويدوى في الحجرة، وربما في المنطقة كلها..

وعلى الرغم من رعبه وهلعه، وثب يختطف ذلك الموبايل من أرضية حجرته،  
واندفع به نحو النافذة، وألقاه بكل ما يملك من قوة..

ومن موقعه رآه يهوى نحو الأرض، ورنينه يخفت..

ويخفت..

ويخفت..

وهنا فقط شعر (فتحي) بالارتياح..

وبالتهالك أيضا..

ذلك الانفعال العنيف أرهاقه، وكاد يفقده صوابه..

وعلى الرغم من رعبه وارتياحه، سقط رأسه ثقيلًا على فراشه وسقط جفناه  
منتاقلين، وانهار في نوم بلا قرار..

وانطلق رنين الموبايل مرة أخرى..

وفي هذه المرة، كاد قابه يتوقف، وهو يثب بكل رعب الدنيا، ويحدق في الموبايل،  
المستقر إلى جواره مباشرة، ورنينه يتصل في إلحاح..

لا.. لا يمكن أن يكون هذا حقيقة..

إنه كابوس.

كابوس رواده في نومه، بسبب ما فعله..

لقد ألقى الموبايل من النافذة بنفسه، ولا يمكن أن يعود إليه، إلا لو كان هذا كابوسا..

نعم.. إنه كابوس، والوسيلة الوحيدة لتجاوزه، هي أن يواجهه..

ومع تلك الفكرة الجديدة، امتدت أصابعه المرتجفة تمسك الموبايل، وتضغط زر  
الاتصال فيه، ثم ارتفعت به إلى أذنه..

وفي هذه المرة أيضا.. سمع الكلمة نفسها..  
«قاتل»..

وفي هذه المرة، ميزها جيدا..  
إنه صوت ذلك الشاب الذي قتله في المساء..  
وصوته لا يأتي من أعماق سحيقة..  
بل من قبر..

قبر في أعماق الأرض..  
وانهار كيان (فتحي) كله، وصرخ:  
- عايز منى إيه؟

وهنا انطلقت صرخة هادرة من الموبايل:  
- قاتل..

وفي هذه المرة كانت الصرخة واضحة قوية، وامتزجت بالصرخة الرهيبة، التي  
أطلقها (فتحي)، التي أيقظت جيرانه كلهم..  
وعندما صعد الجيران إلى حجرته، كان المشهد بشعا، على الرغم من شروق  
الشمس..  
لقد كان (فتحي) ملقى أرضا جثة هامدة، والدماء تنزف من أذنيه بغزارة، وأصابعه  
متشبثة بموبايل من طراز باهظ الثمن..  
للغاية..

☆ ☆ ☆ ☆

## حبيتي..

امتلاً قلبي بتوتر شديد عندما سمعت صوتها يُناديني..  
في الماضي كان قلبي يخنّج فرحاً كلما سمعت صوتها في أي لحظة من الليل أو النهار..  
كنت أحبّها..

أحبها من كل قلبي وكياني..  
وكنت أعشق صوتها العذب، كلما هتف باسمي، أو همس بحبي..  
أما الآن، فالأمر يختلف..

لم أشعر بها وهي تقترب مني، ولكنني حاولت تجاهل هذا، متظاهراً بالإنهماك في الرسم الهندسي الذي يفترض أن أقدمه لرئيسي، في الصباح الباكر، ولكنني لم أستطع السيطرة على التوتر المتزايد في أعماقي؛ خاصة عندما سمعت صوتها خلفي مباشرة، وهي تهمس:  
- اشتقت إليك.

تجاهلت عبارتها مرة أخرى، لعلها تنصرف وتتركني لحالي، ولكنها واصلت، دون أن تبالي بتجاهلي لها:  
- أما زلت تعمل حتى ساعة متأخرة.

غمغمت في توتر:

- المفترض أن أقدم هذا في الصباح الباكر.

همست في نعومة:

- ولكنني هنا.

انعقد حاجبائي، وأنا أقول، في توتر امتزج بشيء من الحدة:

- تأتيني دوماً دون موعد.

قالت في نعومة:

- آتي كلما اشتقت إليك.

رأيتها تدور في نعومة حول مائدة الرسم، وتتحنني لتلقى نظرة على الرسوم الهندسية، قبل أن تبتمس ابتسامة كبيرة، وتقول:

- تشبه فيلاً أحلامنا.

في الماضي كانت ابتسامتها هذه تسحرني، أما اليوم..  
“أمازلت تذكر أحلامنا”..

قالتها بنفس النعومة، فغمغمت، محاولاً إبعاد نظري عنها :  
- كانت مجرد أحلام.

حمل صوتها رنة حازمة، وهي تقول :

- الأحلام يمكن أن تصبح حقيقة، مع قليل من الإرادة..

نفس العبارة التي كانت ترددها على مسامعي دوماً، عندما كنا معا..

نفس الرنة الحازمة في صوتها، والتي تشعرنني بأني تلميذ، يقف أمام أستاذه التي تلقنه درسا في الحياة..

“الأحلام تتغير، مع مرور الوقت..”

قلتها في شيء من العصبية، فاعتدلت ترمقني بنظرة غاضبة، وهي تقول:

- يبدو أنك لم تعد تحبني.

زفرت في توتر، قائلاً:

- أرجوك.. أنا منهك في عملي.

رمقتني بنفس النظرة، قبل أن تقول في شيء من الحدة:

- كنت تعديني دوماً بأنك لن تحب سواي.

لم أحاول التعليق على عبارتها، متظاهراً بالانهماك في الرسم، فتابعت، وحدثها  
تتزايد:

- أهذا وقت الحديث عن الحب!؟

قالت في عصبية:

- كل الأوقات تناسب الحديث عن الحب.

قلت في حدة:

- وماذا عن وقت العمل!؟

مالت نحوي، على نحو ضاعف من توتري، وهي تقول:

- إنه أفضل وقت للحديث عن الحب.

كانت قريبة مني، على نحو أشعرنني ببرودة في أطرافي، فاعتدلت لأبعد وجهي  
عنها، وأنا أقول:

- لو لم يتسلم رئيسي هذا الرسم صباح غد، قد أفقد وظيفتي.



اعتدلت بادية الغضب، وهي تقول:

- يبدو أنك قد نسيت أنني من ساعدك في الحصول على هذه الوظيفة، التي ترفض اليوم التخلي عنها من أجلي.

كنت أشعر بتوتر بالغ، كلما نظرت إليها في الأشهر الأخيرة، وعلى الرغم من هذا، فقد أجبرت نفسي على النظر إليها، وأنا أقول:

- لم أنسَ بالتأكيد، ولكن..

لم أستطع إتمام عبارتي، فقالت في غضب:

- ولكنك نسيت بالفعل.

هزرت رأسي، قائلاً في توتر كاد يبلغ ذروته:

- أنت تعلمين أن الظروف كلها تغيرت.

اكتسى وجهها بغضب شديد، وهي تقول:

- الظروف أم القلب!؟

تطلعت إليها في صمت، ودون أن أنبس ببنت شفة، فتابعت في حدة:

- إنها بثينة.. أليس كذلك!؟

شعرت بارتباك حقيقي، وأنا أشيح بوجهي، قائلاً:

- بثينة مجرد زميلة عمل.

خشيت حقا النظر إلى وجهها، وهي تقول:

- محاولة سخيفة.

أدرت رأسي في ببطء، محاولا النظر إليها، وكل ذرة في كياني تمنعني من هذا، وحتى لساني عجز عن قول أي شيء، فأضافت هي في غضب:

- تنسى أحيانا أنني أستطيع رؤية الحقيقة.

مرة أخرى عجز لساني عن النطق، فدارت حولي بنفس النعومة، وهي تقول:

- أسلوبك في التعامل معها، ونظراتك الحاملة إليها، وصوتك المفعم بالحرارة، عندما تتحدث إليها.. كل هذا لا يوحي أبدا بأنها مجرد زميلة عمل.

غمغمت في صعوبة:

- الواقع أنني..

قاطعتني في حدة:

- الواقع أن تلك الحقيرة قد استغلت غيابي؛ لتتقرب منك، وتلقى شباكها حولك، وتوقعك في حبالها، وتحتل مكاني في قلبك.

غمغمت في عصبية:

- لا تصفيها بالحقيرة.

هتفت :

- أرأيت؟!!

مرة أخرى أشحت بوجهي، دون أن أجيب..

كنت أعلم أنها ستكشف كذبي، مهما قلت أو فعلت..

ولم أستطع أن أبوح لها بالحقيقة..

فأنا بالفعل غارق في حب بثينة..

غارق في عشق رقتها وحنانها وبساطتها..

أنوب مع ابتسامتها العذبة..

أهيم مع كلماتها الرقيقة الدافئة..

أعشق مجرد التواجد معها في مكتب واحد..

“لقد وعدتني بأنك لن تحب سواي“..

قالتها في ضراعة باكية، فالتقطت نفسا عميقا، في محاولة لتهديئة أعصابي، قبل أن  
أغمغم:

- أنت تعلمين أنني قد حاولت.

قالت في مرارة:

- المحاولة لا تكفي.

غمغمت في عصبية :

- انفصالنا لم يكن بإرادتي.

قالت في حدة:

- تعلمين أنني لم أقصد هذا.

تراجعت في أسى، قائلة:

- أنسى أحيانا.

التقطت نفسا عميقا آخر، وقلت:

- لقد احتملت فترة طويلة، ولكن من الضروري أن أوصل حياتي.

رمقتني بنظرة حزينة، وهي تقول:

- مع بثينة؟! -

خفضت عيني، وأنا أتمتم في توتر:

- هي أو غيرها.

صمتت لحظات، قبل أن تقول في حزن:

- هي أفضل من غيرها.

شعرت بصوتها يبتعد عني، وهي تضيف:

- كانت صديقة عمري على الأقل.

بقيت صامتاً، لا أحاول التعليق على عبارتها، حتى انصرفت، وأيقنت أنها لم تعد هناك؛ فالتقطت نفساً عميقاً آخر، وتطلعت إلى لوحة الرسم الهندسي..

نفس الحوار في كل ليلة..

ونفس النهاية..

أعترف أنني كنت أحبها من كل كيان..

ولكن الحياة يتحتم أن تستمر..

وتساءلت وأنا أعاود عملي: هل سينتهي هذا العذاب يوماً، لو أنني تزوجت بثينة، وواصلت حياتي، أم إن حبيبتي السابقة ستواصل زيارتها اليومية لي، منذ أن..

ماتت..



## زهور الربيع..

«هل تؤمن بالأشباح والعفاريات؟»

لم يكذب برعي يسمع السؤال من تلك الصحفية الشابة، التي ألقته عليه في اهتمام، حتى انفجر يفهقه ضاحكا، وهو يشير بكلتا يديه، قائلاً:

- أي أشباح وأي عفاريات يا آنسة؟! إنني تربيت أبا عن جد، ولم أختبر مثل هذه الأشياء في حياتي قط، على الرغم من أنني أقيم وسط المقابر، منذ وعيت عيناى على الدنيا.

بدأت الصحفية الشابة أكثر اهتماما، وهي تسأله:

- إذن فأنت تعتبر كل هذا مجرد خرافات!

هتف في حماس:

- بالتأكيد.

ثم مال نحوها، مستطردا:

- هذه أمور يتداولها العامة، تعبيرا عن خشيتهم من الموت، أما نحن الذين نحيا مع الموت، فهي لا تؤثر فينا قط.

قالت الصحفية الشابة، وهي تنهي حديثها:

- من الواضح أن لديك فلسفة خاصة.

أشار بسببته، قائلاً:

- بل أنا رجل واقعي، خبر الحياة طويلاً، وليس لديّ مكان للخرافات ومخاوف الطفولة.

أنهت الصحفية حديثها وغادرت وهي تسرع الخطى حتى تخرج من منطقة المقابر، قبل غروب الشمس، فتابعها في سخريّة، مغمغماً:

- ويقولون إن الصحافة تتابع الأمور الهامة.

هزّ كتفيه مستكراً، واستنشق الهواء في قوة، ثم سعل مرتين بسبب الأتربة التي تميز دوماً هواء موسم الربيع، ودلف إلى منزله وهو ينادي على زوجته، لتعد له طعام الغداء..

ومع مهبط الليل ساد منطقة المقابر هدوء وسكون شاملان، اعتادهما برعي منذ طفولته، وجلس هو على باب منزله الصغير الذي يتوسط المقابر، يدخن أنفاس الشيشة في استمتاع، ويسعل بين حين وآخر مفسداً سكون وهدوء المنطقة التي خلت

تماما من الناس، مع اقتراب عقارب الساعة من منتصف الليل، نهض يللمم أدواته استعدادا للنوم، و..

فجأة، تناهت تلك الأصوات إلى مسامعه..

أصوات واضحة لطفلين يمرحان وسط المقابر، وضحكاتهما البريئة تتردد في المكان على نحو كان يمكن أن يرقص قلبه طربا لها، لو أنه سمعه في مكان آخر، أو وقت آخر.

وبكل دهشته، سار برعي بين المقابر، متتبعا أصوات الطفلين وضحكاتهما، حتى لاح له أخيرا وهما يعدوان في مرح، حول قبر حديث نسبيا لزوجة شابة، أقيت مصرعا في سن مبكرة، بعد صراع مع مرض عضال.

كانا يطلقان ضحكاتهما المرحية وهما يتسابقان في سعادة في هذا الوقت المتأخر، فهتف بهما، وقد حوّل توتره إلى عصبية مفتعلة:

- ماذا تفعلان هنا؟

للهولة الأولى، خُيل إليه أنهما لم يسمعا نداءه، إلا أنهما سرعان ما التفتا إليه، وتطلعا نحوه في خوف، جعلهما يقتربان بعضهما من بعض، ويتلاصقان في خوف

كانا طفلاً وطفلة، لا يتعدى عمرهما الخامسة، ويتشابهان إلى حد كبير، بملامحهما الجميلة البريئة، التي جعلتهما يبدوان كزهرتين يانعتين من زهور الربيع، نبتتا وسط الموت، حتى أنه شعر بالعطف والشفقة نحوهما، فاقترب منهما، وهو يقول في حنان، محاولاً تهدئتهما:

- من أنتما؟ من أين جئتما؟ وماذا تفعلان هنا؟

تراجع الطفلان في خوف، وقد التصقا ببعضهما أكثر، فواصل اقترابه في حذر، وهو يقول في حنان أكثر:

- لا تخافا مني.. اقتربا.. عندي لكما بعض الحلوى.

تراجع الطفلان في خوف أكبر، ثم افترقا فجأة، ودار كل منهما في اتجاه مخالف للآخر حول ذلك القبر الحديث نسبيا، فأسرع برعي نحوهما، هاتفا:

- لا تخافا.

دار حول القبر بدوره، قبل أن يتوقف ذاهلاً..

على الرغم من أنه قد رأهما بعينه، وهما يدوران حول ذلك القبر، لكن الساحة الصغيرة خلفه كانت خالية تماما..

لم يكن بها أثر للصغيرين..

أو لأي شخص آخر..

ولثوان تجمد برعي في مكانه، وشعر بأوصاله ترتجف، فبسمل وحوقل، وتلفت حوله أكثر من مرة، قبل أن يغمغم مضطرباً:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

دار حول القبر مرتين، فلم يجد أدنى أثر للطفلين، فبسمل وحوقل مرة أخرى، ثم ابتعد في خطوات سريعة، عائداً إلى منزله..

ولكن فجأة، سمع ضحكات الطفلين مرة أخرى..

وفي رعب لم يشعر بمثله في حياته قط، التفت يحدّق فيهما..

كانا قد عاودا لعبهما، على النحو نفسه، وكأنهما يعيدان المشهد من بدايته، وضحكاتهما تتصاعد في مرح وسعادة..

وفي هذه المرة وقف يحدّق فيهما في صمت..

لقد مضى أكثر من عام، منذ أودع طفل إحدى هذه المقابر، ولقد كان طفلاً واحداً، وليس طفلين..

ثم إنه لم يؤمن يوماً بالأشباح والعفرانيت..

دار صراع عجيب في داخله، وهو يراقب الطفلين يمرحان ويلعبان، ثم استجمع شجاعته، ليقول في صوت مرتجف:

- ماذا تريدان؟

لم يكن يأمل شيئاً من سؤاله، إلا أنه فوجئ بهما يتوقفان فجأة، فور أن نطق بسؤاله، ويلتفتان إليه في صمت، وأعينهما تحمل حزناً شديداً، حار في تفسيره، فكرر عليهما سؤاله، وقد بدأ يتماسك نسيباً..

ودون أن ينطق أحدهما بكلمة، أشارا معاً إلى ذلك القبر الحديث، ثم امتلأت أعينهما بالدموع، على نحو جعله يتساءل في حذر:

- أهي أمكما؟

علا نحبيهما فجأة، وهما يتشبثان بالقبر، وبيكيان في حرارة أدمت قلبه، فاتجه نحوهما، قائلاً في حنان مشفق:

- لا تبكيان.

مع اقترابه، التفتا إليه بنفس الخوف السابق، إلا أنهما لم يدورا حول القبر هذه المرة، وإنما وثبا نحوه؛ جعلاً جسد برعي يرتجف، من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، عندما اختفيا في شاهده فجأة..

ولقد ظل جسد برعي يرتجف لخمس دقائق كاملة بعد اختفائهما، وعيناه المتسعتان تحدّقان في قبر المرأة، قبل أن تتجح قدماه في أن تتحرّكا نحو القبر، ليفحصه في خوف، امتزج بحسه المهني..

ومع الوهولة الأولى، أدرك أن يدا قد عبثت بهذا القبر، منذ فترة قريبة..  
وهي يد غير محترفة حتما..

لقد حفرت وأزاحت بلاطة القبر في عجلة، ثم أعادت وضعها، وأهالت عليها  
التراب، دون أن تسقي الأرض بالماء كالمعتاد..

كل هذا أدركه من النظرة الأولى..

وكل هذا رواه لضابط نقطة الشرطة، فجر اليوم التالي..

وفي حضور رجال الشرطة، تم فتح قبر المرأة..

وكانت الصدمة..

جثة المرأة ترقد ساكنة هادئة، وإلى جوارهما جثتان، لطفل وطفلة، في عمر  
الزهور، يرتديان الثياب نفسها، التي رآها برعي يرتدونها، وهما يلعبان حول القبر،  
في الليلة السابقة..

وعندما فحص الطبيب الشرعي المرافق الجثتين، أشارت إلى أن الطفلين قد لقيا  
مصرعهما قتلاً بالسم، منذ ثلاثة أيام..

وضرب برعي كفا بكف، وهو يستعيد ذكرى الليلة الماضية، في حين بدأت  
التحقيقات حول واقعة القتل..

وبسرعة راحت الحقائق تتكشف..

فالمرأة هي أم الطفلين، وقد تم قتلها بالسم أيضا، ليصبح بعدها زوجها الحالي وصيا  
على ولديها من زوج سابق، لقي ربه بعد ولادتهما بقليل، وترك لها ولهما ثروة  
معقولة..

وكان من الطبيعي أن يكون زوج الأم هو المشتبه فيه رقم واحد، ولكن التحقيقات  
أثبتت أنه كان يعالج في مستشفى بمدينة الإسكندرية، خلال الأسبوع الذي تمت فيه  
جريمة قتل زهرتي الربيع..

وعلى الرغم من ثقة الجميع بأنه مدبر الحادث، لكن أحدا لم يستطع إثبات هذا،  
وبخاصة مع عدم العثور على الفاعل الأصلي، فلم يكن هناك بد من إطلاق سراح  
زوج الأم لعدم كفاية الأدلة..

وفي جلسته الليلية المعتادة، بدأ برعي يجمع ساكني المقابر من الأحياء حوله،  
ويروي لهم قصته، وكل منهم يضرب كفا بكف، حتى كانت تلك الليلة..

كان القمر بدرا، والناس سئمت سماع قصته، فانفضوا من حوله، وجلس هو يدخن  
شيشته كالمعتاد..

ثم لمح ذلك الرجل..

رجل نحيل، متوسّط الطول، يسير بخطوات مضطربة وسط المقابر، وهو يهتمهم بكلمات غير مفهومة..

وعندما مرّ أمامه، تعرّفه برعي على الفور..

كان زوج الأم، بشحمه ولحمه..

ولكنه كان يختلف تماما عن آخر مرة رآه فيها، قبيل الإفراج عنه مباشرة..

أيامها كان واثقا، متغطرسا، يتحدّث بنعرة عجيبة، ويتحدى أن يثبت أي مخلوق تورّطه في جرائم القتل..

أما هذه المرة، فقد بدا ذاهلاً، رث الثياب، يسير كما لو أنه قد فقد كل شيء في الدنيا..

وفي فضول حذر، تبعه برعي..

كان يسير مباشرة نحو قبر زوجته، الذي أعيد إغلاقه في إحكام..

ولم يفهم برعي ما يحدث، فتقدّم أكثر في حذر، ورأى الرجل يسقط على ركبتيه أمام القبر، وهو يقول في ضراعة بانسة:

- اجعليهما ينصرفان.. إنهما يزورانني كل ليلة، وأراهما يلعبان ويلهوان، في أماكنهما المعتادة.

سرت قشعريرة في جسد برعي، فأرهب سمعه أكثر، والرجل يبكي في انهيار، ويلمس شاهد القبر، مواصلاً:

- رجوتهما أن يرحماني واعتذرت لهما عما فعلته، فأشارا إلى صورتك، وعلمت أنهما يطلبان مني القدوم إليك.

تحوّلت قشعريرة برعي إلى غضب، جعله يرهف سمعه أكثر وأكثر، والرجل يتابع، في انهيار تام: ولقد أتيت لأعترف أمامك.. لقد استأجرت قاتلاً، واخترعت موعد العلاج لتنفيذ جريمته..

أنا أعطيته السم.. نفس السم الذي قتلتك به، عندما سافرت إلى لبنان.. أنا فعلتها، أنا قتلتك وقتلتهما.. إنني أعترف.. ولكن ارحميني.. اجعليهما يبتعدان عني..

شعر برعي بغضب شديد، عندما سمع تلك العبارات الأخيرة..

كان الرجل منهارا بحق، إلا أنه لم يشعر تجاهه بذرة من الشفقة..

لقد رأى أمامه وحشا مفترسا، قتل زوجته، وزهرتين بريئتين، دون ذرة من الرحمة أو الشفقة، ببرائتهما وطهارتهما..

ولقد كان يهيم بالاتجاه نحوه، ليعنفه في شدة، أو يلقي القبض عليه، ويخبر الشرطة بما سمعه منه، عندما لاحظ فجأة أمرا عجيبا، جعل انتفاضة عنيفة تسري في جسده..



لقد كانت بلاطة قبر المرأة التي أحكم إغلاقها بنفسه مرفوعة..

وكان القبر مفتوحاً..

وفي نفس اللحظة، التي أدرك فيها هذا، اتسعت عيناه عن آخرهما، مع مرأى الطفلين، وهما يظهران فجأة، على جانبي الرجل، الذي أصيب برعب شديد، جعله يتراجع، صارخاً:

- لا.. لا.. الرحمة.

كان الطفلان يتقدمان نحوه في ببطء، فهب واقفاً على قدميه، وهو يتراجع نحو القبر المفتوح، ملوّحاً بذراعيه في ارتياح، هاتفاً:

- اتركاني.. لم أعد أحتمل.. لم أعد أحتمل..

تعثرت قدمه في بلاطة القبر مع تراجعه، فاختل توازنه، وراه برعي يضرب بذراعيه في الهواء، بكل رعب الدنيا، محاولاً التشبث بشيء ما، قبل أن يهوى جسده كله داخل القبر، ويسمع برعي صوت ارتطامه بأرضيته..

ومع تأوهات الرجل داخل القبر، التقت الطفلان ينظران إلى برعي وأعينهما تحمل براءة الدنيا كلها.. لم ينطق أحدهما كلمة واحدة، ولكن رسالتهما وصلت إليه..

وكما لو أنه مسير، استدار برعي عائداً إلى منزله، والتقط دلواً من الماء، وكيساً من الأسمنت، وعاد به إلى قبر المرأة..

وعلى الرغم من أن الطفلين لم يغادرا مكانهما، ولم يرفعا أعينهما عنه، وقف بينهما يلقي نظرة على الرجل الذي حاول الخروج من القبر، وهو ينظر إلى جثة المرأة في رعب، مردداً في انهيار:

- ارحمني.. ارحمني..

وبلا أي مشاعر تقريباً، وكأنما تضغط عليه قوة تفوق إرادته، تجاهل برعي تأوهات الرجل، ودفع بلاطة القبر ليعيدها إلى موضعها، والرجل يصرخ فيه، في رعب لا مثيل له:

- ماذا تفعل؟! ماذا تفعل!؟!

ومتجاهلاً صرخاته تماماً، أغلق برعي القبر، وراح يدعم بلاطته بخليط سميكة من الأسمنت والماء؛ ليحكم إغلاقه تماماً، وصوت الرجل ينتهي إلى مسامعه ضعيفاً، وهو يصرخ متوسلاً:

- أخرجني من هنا.. لا تتركني معهم.

وفي هدوء عجيب، زاد برعي كمية الأسمنت والرمال، حتى حجب صوت الرجل تماماً، ثم تراجع في ببطء، وجلس على شاهد قبر آخر، يراقب قبر المرأة في بلاطة عجيبة، في حين رفع الطفلان أعينهما إليه، في نظرة امتنان عجيبة، سرت لها قشعريرة باردة أخرى في جسده..

ثم فجأة، حدث ما جعل قلبه يتوقف لحظة عن النبض..

لقد شاهد تلك المرأة..

شاهدها تقف على بلاطة قبرها هادئة ساكنة، تنظر إليه بنفس نظرة الامتتان، وهي تفتح ذراعيها..

وفي سعادة، اندفع الطفلان نحوها، فاحتضنتهما في حنان عجيب، قبل أن تمنحه نظرة امتتان أخرى، ثم تغوص مع ولديها، عائدة إلى قبرها..

ولساعة كاملة، ظل برعي جالسا على شاهد القبر الآخر، يحدّق في قبر المرأة، دون أن ينبس ببنت شفة.

منذ تلك الليلة، واصل برعي جلسته المعتادة، أمام منزله، وسط المقابر، يدخن شيشته في هدوء وصمت، محاولاً إقناع عقله بنسيان ما حدث.

الشيء الوحيد الذي تغير، هو أنه لم يعد يروي شيئاً لأي مخلوق..

فقط أصبح أكثر اهتماماً بنسمات الربيع..

وزهور الربيع.

☆ ☆ ☆ ☆

## شات..

“العشاء يا عبير”..

بلغ النداء مسامع عبير، وهي تجلس أمام شاشة الكمبيوتر، فانعقد حاجباها في ضيق، ومطت شفثيها في امتعاض، وهي تواصل الكتابة على لوحة الأزرار لتحكي لإحدى صديقات الشات ما حدث معها، خلال رحلة الصيف في الساحل الشمالي..

وتكرر نداء الأم مرتين، دون أن تجيب عبير، فطرقت الأم باب حجرتها، وهي تقول في يأس، يبدو أنها قد اعتادته:

- ألن تتناولي العشاء معنا؟! -

هتفت عبير، دون أن تتوقف عن مواصلة “الشات”:

- كلا.. لقد تناولت شطيرة منذ قليل.

زفرت أمها، مغممة:

- أنتِ وشأنك.

لم تبال عبير كثيرا بضيق أمها التي يبست من محاولات انتزاعها من أمام الكمبيوتر، الذي أدمنت الجلوس أمامه، منذ تخرجت في كليتها، منذ أكثر من عام، لم تحاول خلاله البحث عن عمل، ولا مرة واحدة، وكأنها قد وهبت حياتها للكمبيوتر، ولهذا الشات الذي صنعت منه حياتها الاجتماعية كلها..

أما عبير فقد انتهت من الشات مع زميلتها ثم انتقلت إلى زميلة أخرى في شغف غير طبيعي، جعل الساعات تمضي، وأسرتها تنام، وهي مستمرة أمام الكمبيوتر..

وعندما قررت أخيرا، مع اقتراب الفجر، أن تأوي إلى فراشها، ظهر ذلك الزائر فجأة، على صفحة الشات الخاصة بها..

“ع.ج”.. هكذا عرف نفسه، قبل أن يتحدث معها عن رحلتها الصيفية..

وانسعت عيناها في دهشة بالغة مستكرة..

إنها لم تعرف “ع.ج” هذا من قبل، ولم تجر أي شات معه من قبل، وعلى الرغم من هذا، فهو يذكر لها أمور لم تخبرها حتى لأعز صديقات الشات..

وفي غضب، سألته عبير من يكون..

في بساطة، أخبرها أنه شخص شديد الإعجاب بها، ويرغب في صداقتها..

وعلى الرغم من دهشتها واستنكارها، دفع الفضول “عبير” إلى أن تسأله: كيف عرف كل هذه الأمور عنها..

وفي سرعة مدهشة تفوق قدرة أي إنسان على الكتابة، ظهر الجواب على الشاشة  
“أنا أعرف عنك أكثر مما يمكنك تصوره“.

لم يرق لها الجواب، وفكرت لحظة في إغلاق الكمبيوتر، ولكن الفضول دفعها إلى  
أن تسأل:

” مثل ماذا؟“.

وبنفس السرعة المدهشة، ظهر الجواب..

“أعرف أنك كنت تفكرين الآن في أشرف، ذلك الشاب الوسيم، الذي التقيت به في  
الساحل الشمالي، والذي يمتلك سيارة سوداء، من طراز “بي. إم. دبليو“.

خفق قلبها بعنف، وبدا لها الجواب مستفزا، فهي بالفعل كانت تفكر في أشرف هذا،  
ولا أحد سواها يعلم، أو يمكن أن يعلم هذا.

ولكن هناك من يمكن أن يستتجه..

إنه أشرف نفسه..

ربما هو يمازحها، واثقا في أنها تفكر فيه طوال الوقت، بعد أن بهرها بوسامته وشدة  
ثرائه، منذ أقل من شهر..

نعم .. هو أشرف حتما؛ فهي لم تخبر أحدا عنه، حتى هذه اللحظة..

إنه هو دون سواه..

وبسرعة، كتبت على الشاشة..

“أنت أشرف.. أليس كذلك؟“.

وما أن رفعت سبابتها عن آخر حروف لوحة الأزرار، حتى ظهر الجواب على  
الشاشة..

“أشرف شاب تافه، لا يستحقك“.

أدهشتها سرعة ظهور الأجوبة، فتراجعت لحظة في مقعدها، تحاول فهم ما يحدث..

مستحيل أن يكون هذا شخصا آخر..

لا أحد يعلم بأمر أشرف سواها.

ولكن من يمكن أن يكون هذا؟

وكيف يضع إجابات أسئلتها بهذه السرعة؟

انعقد حاجباها في شدة، وهي تحاول البحث عن الجواب..

ربما هو أشرف، ولكنه يختبر مشاعرنا نحوه..

ربما..

وربما أعد الإجابات كلها مسبقا، مستنتجا حيرتها إزاء هذه المعلومات والأسئلة..  
من المستحيل أن يكون قد روى الأمر لأحد أصدقائه، وتركه يعيب بها..  
مستحيل تماما..

صحيح هي لم تتعرفه جيدا، ولكنه لم يبذل لها أنه من تلك النوعية أبدا..  
وفجأة، بينما عقلها منشغل بالبحث عن إجابات تساؤلاتها، ظهرت عبارة على  
الشاشة..

“لا تشغلي عقلك بالتفكير، فأنا لست صديقا لذلك التافه أشرف، الذي ينافسني  
الإعجاب بك“.

وانتفض جسدها في دهشة وانفعال..

كيف عرف ما تفكر فيه؟

كيف؟

كيف؟

وبسرعة، نقلت سؤالها إلى الشاشة..

“هل تقرأ أفكارى؟“.

وفي نفس اللحظة، أتاها الجواب..

“بالتأكيد.. أقرأ كل ما تفكرين فيه“.

انعقد حاجباها في شدة، وفكرت في أنه شاب عابث حتما، يعلم أمر علاقتها بأشرف،  
بوسيلة ما، ويستغل هذا في إخافتها والعبث بها..

وفي ذهنها قررت أن تفكر في أمها، وتسأله أن يقرأ أفكارها..

وقبل أن تمد أصابعها لكتابة العبارة، فوجئت بكلمة واحدة تظهر على الشاشة.. “في  
أمك“.

لم تكن قد كتبت العبارة بعد، لذا فقد جعلها الجواب تثب من مقعدها، وتتلقت حولها  
في خوف، قبل أن تكتب..

“من أنت بالضبط؟ أرجوك“.

مضت لحظات من السكون، وهي تنتظر الجواب في لهفة، ولكنها لم تحصل عليه،  
طوال الدقائق الخمسة التالية، فكتبت في سرعة..

“أين ذهبت؟“.

أتاها الجواب على الشاشة، بأسرع مما تتوقع..

“لماذا؟ هل افتقدتيني؟“.

انتفض جسدها مرة أخرى، وترددت لحظة، قبل أن تكتب في حزم..  
“سأغلق الكمبيوتر الآن.”

أتاها الجواب، قبل أن تتم العبارة..  
“لن يمكنك هذا.”

شعرت بعصبية شديدة، وهي تقول لنفسها:

- من يظن نفسه؟! هل تصور أنني لا أستطيع إغلاق الكمبيوتر؟! واهم هو لو تصور هذا.

وبكل العناد، دفعت سبابتها، وضغطت زر إغلاق الكمبيوتر، و...  
لم يستجب الجهاز..

تراجعت في دهشة، وحدثت في شاشة الكمبيوتر في ذهول، مع العبارة التي ارتسمت عليها..  
“ألم أخبرك؟!!”

انتابها خوف شديد، وهي تضغط زر إغلاق الكمبيوتر مرة..  
وثانية..

وثالثة..

ورابعة..

وخامسة..

ولم يستجب الكمبيوتر لأي محاولة..

لقد ظلت شاشته مضاءة، وحملت عبارة صارمة..

“لن يمكنك إغلاق هذا الكمبيوتر، وقطع الشات بيننا، إلا بإرادتي أنا.”

انتفض جسدها، وهي تتساءل في رعب..

أهذا فيروس جديد من فيروسات الكمبيوتر؟

هل دس “ع.ج” هذا في جهازها فيروسا جديدا يمنع إغلاق الكمبيوتر؟ ولكن كيف فعلها؟ كيف؟ حاولت أن تغلق صفحة الشات لتعيد فحص جهاز الكمبيوتر، عبر برنامج مضاد للفيروسات، إلا أن الصفحة أيضا لم تستجب، في حين حملت الشاشة عبارة جديدة..

“دعيني ألتقي بك أولا، وبعدها سيستجيب لك الكمبيوتر.”

لم تحاول الرد على عبارته هذه المرة، وجسدها ينتفض في قوة، وإنما تراجعت بمقعدها، وراحت تحرق في العبارة في ذهول، قبل أن تندفع فجأة، وتنتزع قابس

الكهرباء، المتصل بالكمبيوتر..

ووفقا لأي مقياس فيزيائي في الوجود، كان المفترض أن يعلق هذا الكمبيوتر على الفور، إلا أن هذا -للعجب- لم يحدث!

مع غياب التيار الكهربائي، ظلت شاشة الكمبيوتر مضاءة، وتراصت عليها عبارة جديدة..

“دعيني ألتقي بك أولا”.

كان جسدها كله ينتفض رعبا، وغمغمت بصوت مرتجف:

- ولكن هذا مستحيل!

لم يكن جهازها بميكروفون لنقل الصوت، وعلى الرغم من هذا، فقد جاءت العبارة التالية لتثير كل فرعها..

“مع مثلي، لا يوجد مستحيل”.

راح جسدها ينتفض في قوة، وعجزت ساقاها عن حملها خارج مقعدها، وعجز حلقها حتى عن الصراخ أو الاستجداد بأحد..

وعلى الشاشة ظهرت العبارة نفسها تتكرر..

“فقط دعيني ألتقي بك”.

وبكل صعوبة، غمغمت:

- كيف؟

أناها الجواب على الشاشة، وكأن “ع.ج” هذا يسمعها..

“اطلبي مني أن ألتقي بك”.

غمغمت في رعب:

- متى؟

ومرة أخرى أنهاها الجواب في سرعة..

“الآن.. اطلبي مني الآن”.

كان الرعب يملأ كيائها كله، والدموع تنهمر من عينيها من شدة رعبها، وعلى الرغم من هذا فقد غمغمت:

- فليكن.. لو أن هذا ينهي ما أنا فيه.

حملت الشاشة كلمة واحدة بحروف كبيرة..

“اطلبيها”.

هتفت بصوت مختنق:

- التلق بي.. الآن.

لم تكذ تنطقها، حتى انطفأت الشاشة فجأة، ودوت فرقة مكتومة في الحجرة، وهوى قلب عبير بين قدميها، عندما ظهر شخص إلى جوارها بغتة، وهو يقول:

- "لم يكن من الممكن أن ألتقي بك، دون أن تطليها صراحة".

واتسعت عينا عبير عن آخرهما، في رعب ما بعده رعب، مع وجه شديد الحمرة، وعينيها المشقوقتين طوليا كأعين الثعابين، وتراجعت بمقعدها في عنف، فتهاوى بها، وارتطم رأسها بطرف فراشها، فسقطت في عنف..

واستيقظت..

وفي رعب، حدقت في شاشة الكمبيوتر المضاءة أمامها، والتي تحمل صفحة الشات الخاصة بها، والتي ليس عليها أثر لمحادثاتها مع "ع.ج" هذا..

وفي ذعر تلفتت حولها، قبل أن تطلق زفرة عصبية، وتغمغم:

- يا إلهي! لقد كان كابوسا رهيبا.. لا ريب في أن النوم قد غلبني أمام شاشة الكمبيوتر، فكان هذا الكابوس..

ضغطت زر إغلاق الكمبيوتر، فاستجاب لها في يسر، ونهضت إلى فراشها، مع نسيمات الصباح الأولى، وهي تتمتم:

- لا بد أن أقل من ساعات جلوسي أمام الشات.. أمي كانت على حق.. هذا يصيب العقل بإجهاد شديد.

رقدت في فراشها، وهي تستعيد ذكرى ذلك الكابوس الرهيب، وحاولت أن تبتسم، وهي تغلق عينيها، مغممة:

- ولكن لماذا "ع.ج"؟ أي شيء يمكن أن يعنيه هذا؟

- "يعني عفريت من الجن".

العبرة جعلتها تقفز من فراشها بكل رعب الدنيا، ووجدته يقف أمامها، وذيله يتلاعب خلفه، وهو يبتسم بأنيابه الحادة، قائلا:

- هكذا يطلقون علينا..

وصرخت عبير..

وصرخت..

وصرخت..

ولم يسمعها أحد..

على الإطلاق.





# الخوف..

المكان كله لا يوحي بالارتياح على الإطلاق..

الضوء شديد الخفوت..

الجران شبه متهالكة..

رائحة الرطوبة التي تزكم الأنوف..

أصوات الحشرات، التي دفعها الربيع للتغازل في موسمها السنوي..

وهو لم يشعر بالراحة منذ جاء إلى المكان..

ولكن الجميع قالوا: إنه سيجد علاجه هنا..

وعليه أن ينتظر..

ويحتمل..

حاول أن يسترخي، على ذلك الشيزلونج القديم، الذي اهترأت أطرافه، ولكنه لم ينجح في هذا أبداً..

تُرى لماذا يثق الكل في ذلك المعالج؟

أي إنجازات يحملها تاريخه، في هذا المجال؟

ولماذا هذا المكان؟

لماذا؟

شعر قلبه بذلك الخوف العجيب، عندما تناهت إلى مسامعه أصوات المارة في الخارج، فانكمش في مكانه، واتسعت عيناه عن آخرهما، ثم حاول أن يغلقهما ليقنع نفسه بأنه في مكان آخر..

ولكن أصوات المارة تزايدت..

وشعور الخوف داخله تصاعد..

وتصاعد..

وتصاعد..

وعلى الرغم منه، وعلى الرغم من أن هذا غير معتاد، وجد جسده يرتجف، على الرغم من محاولات التماسك..

ثم شعر بوصول المعالج..

وفي سرعة فتح عينيه، يُحدق فيه بشدة..

كان شديد النحول، غائر العينان، شاحب الوجه، أشعث الشعر، يرتدي معطفاً، كان يتمتع باللون الأبيض، منذ عشر سنوات على الأقل، وأسفله يبدو سروال من الجينز، ضاع لونه

من فرط القذارة..

وبلامبالاة، جلس المعالج على مسافة نصف متر منه، وأمسك ملفه، وراح يقرأ أوراقه في سرعة، قبل أن يهز رأسه قائلاً:

- لم أر حالة كهذه من قبل أبدا.

غمغم هو في أسى، يمتزج بلمحة خجل:

- أعلم هذا.

هز المعالج رأسه مرة أخرى، ومال نحوه يسأله:

- لماذا تخاف منهم؟

أجابه في أسى:

- لست أدري..

سأله:

- هل تتصور أنهم سيحاولون إيذاءك؟!

تساءل، وهو يزداد انكماشاً:

- ولم لا؟!

هز المعالج كتفيه هذه المرة، وهو يقول:

- لأنه ما من سبب لهذا.

غمغم:

- لديهم سبب بالتأكيد.

قال في هدوء:

- ليس إن لم تمنحهم أنت إياه..

تتهد في توتر، وبدا له ذلك الشيزلونج القديم، وكأنه تحول إلى سرير من المسامير الحادة، يؤلم ظهره، وهو يقول:

- الخوف جزء من طبيعتهم أيضاً.

هز المعالج كتفيه، وقال:

- الخوف هو المحرك الرئيسي لكل كائن في الوجود.. يخاف البرد والرياح، فيسعى للحصول على مسكن يأويه.. يخاف الجوع، فيبحث عن طعام يأكله.. يخاف المرض، فيسعى إلى ملابس يقيه.. حتى عندما يحصل على كل هذا، يخاف أن يخسره، فيواصل عمله للحفاظ عليه.

غمغم في توتر:

- لست أقصد هذا النوع من الخوف.

قال المعالج في هدوء:

- لعلك تقصد ذلك الخوف السلبي، الذي يعجز معه المرء عن العمل والكفاح، فيخسر كل شيء..

هز رأسه في قوة، قائلاً:

- ولا هذا أيضاً.

ترجع المعالج في مقعده في ضجر، وهو يسأله:

- أي خوف تقصد إذن؟

صمت لحظات، عاد خلالها ينظر إلى الجدران المتشققة، والسقف الذي يكاد يسقط على رأسه، والباب المتماسك بالكاد، قبل أن يقول في خفوت:

- الخوف من المجهول.

مط المعالج شفتيه، وهز رأسه، قائلاً:

- هذا نوع من الخوف الطبيعي.

غمغم هو في دهشة:

- حقاً؟! أوجد خوف طبيعي؟!!

أجابه في سرعة:

- بالتأكيد.

ثم اعتدل في مقعده، مضيفاً:

- كل مخلوق لديه مخاوف طبيعية، هي التي تحدد مساره في الحياة، وقدرته على تجاوز ما يواجهه من عقبات.. والخوف من المجهول هو أكبر هذه المخاوف؛ لأنك تخشى ما لا تدريه، وأكثر مما تخشى ما تدريه، والوسيلة الوحيدة لكسر الخوف من المجهول، هي ألا يصبح مجهولاً.

سأله في لهفة متوترة:

- وكيف؟

مال المعالج نحوه، مجيباً في حزم:

- بأن نواجهه.

امتقع وجهه، وترجع يرقد مرة أخرى، على ذلك الشيزلونج القديم، وهو يغمغم في خوف:

- نواجهه؟!!

وأماً المعالج برأسه إيجاباً مرتين، ثم اعتدل قائلاً:

- هذا أشبه بحجرة مغلقة في منزل كبير.. حجرة لم يفتحها أحد من قبل.. والكل يخشى المبادرة بمحاولة فتحها، فتظل دوماً مغلقة، لا يقترب منها أحد، حتى يجروء شخص على

فتحتها يوماً، فيجد أنها حجرة خالية، لا خوف منها.. بل قد تكون الحجرة الوحيدة، التي تدخل منها الشمس..

امتقع وجهه، وراحت أطرافه ترتجف، وهو يقول:

- هل تعني أنه من الضروري أن أواجههم؟!

عاد يومئ برأسه، قائلاً:

- هذا هو الحل الوحيد.

اتسعت عيناه، وهو يزداد انكماشاً على ذلك الشيزلونج القديم، فاكتسب صوت المعالج صرامة، وهو يقول:

- اخرج الآن وواجههم.. اثبت لنفسك أنك لا تخف منهم، وربما خافوا هم منك.

حاول أن يتخيل الفكرة، ولكن الخوف في أعماقه تصاعد بمجرد تصورها..

تصاعد.

وتصاعد..

وتصاعد..

على الرغم من كل محاولاته لمقاومته، لم يستطع منع تصاعده، فدفن وجهه بين كفيه، وهو يهتف:

- لا.. لن يمكنني هذا.

رمقه المعالج بنظرة، تجمع ما بين الدهشة والشفقة والازدراء، قبل أن يقول:

- لا يوجد سبيل سوى هذا.

قالها في صرامة شديدة، فأبعد هو كفيه عن وجهه، وحدث فيه، متسائلاً في صوت مرتجف:

- وماذا عن العواقب؟

هز المعالج رأسه في قوة، وهو يقول بنفس الصرامة:

- لا توجد أي عواقب.

تساءل بصوت أكثر ارتجافاً:

- وماذا لو فشلت؟

أجابته المعالج، وهو يللم أوراق التقرير، وكأنه قرر إنهاء جلسة العلاج

:

- الخوف من الفشل دافع لتقدم أي كائن، ولو أنك خشيت الفشل، ستبذل جهدك لتفاديه، ولتحقيق النجاح.

ثم بدا وكأنه قد فقد أعصابه فجأة، وهو يضيف:

- ثم إنه لا خيار لديك.. لا بد أن تحاول.

كان قد لملم أوراق الملف، ونهض وهو يحمله، فحاول هو النهوض بدوره، من ذلك الشيزلونج، وهو يغمغم:

- ما زلت خائفا منهم.

كان المعالج يهم بالانصراف، عندما سمع هذه العبارة، فالتفت إليه، يسأله في صرامة:

- لماذا؟ ما الذي يمكن أن يفعلوه؟

تردد، وهو يجيب:

- ربما طاردوني.

أجابه المعالج، بكل ضجره:

- لن يفعلوا بالتأكيد.

قال في توتر:

- وماذا لو حاولوا قتلي؟

هتف المعالج:

- ألم أقل لك: إنني لم أر حالة كهذه أبدا؟!!

ثم مال نحوه، مضيفا:

- لن يقتلوك حتما.

وانعقد حاجباه بشدة، وهو يضيف:

- لأنك بالفعل ميت.. أنت شبح.. ألم تستوعب هذه الحقيقة بعد؟! لا تخف الأحياء.. هم ينبغي أن يخافوا منك.. حاول أن تستوعب.. أنت شبح.. شبح..

كان قد استوعب هذه الحقيقة بالفعل، ولكنه ما زال يحتفظ في أعماقه بتلك اللمحة الباقية من الحياة..

بالخوف.

## أنت عمري..

تلّفت الدكتور وجدي حوله في حذر؛ ليطمئن إلى خلوّ قسم الحالات الحرجة، في المستشفى الخاص الذي يعمل فيه، من أي شخص، يمكن أن ينتبه إليه، في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وربّت على جيب معطفه الطبي؛ ليتأكد من وجود اختراعه الصغير فيه، قبل أن يدفع باب حجرة تلك المريضة، الغارقة في غيبوبة عميقة، منذ أكثر من ستة أشهر، ويدلف إلى المكان في سرعة، ثم يغلقه خلفه في إحكام، وهو يلقي نظرة متوترة على ساعة يده، التي أشارت عقاربها إلى الثالثة والنصف صباحاً تقريباً...

كان يعلم جيّداً أن موعد مرور طاقم التمريض؛ لمتابعة المريضة، سيأتي في الخامسة صباحاً، مما يعني أنه أمامه ساعة ونصف الساعة؛ ليثبت نجاح اختراعه... وفي توتر أخرج جهازه الصغير من جيب معطفه، وحمله في حرص، كما لو أنه وليد غير مكتمل النمو، ووضعه على المنضدة الصغيرة، إلى جوار المريضة مباشرة، ثم اعتدل يلهث، كما لو أنه قد بذل جهداً خرافياً، وغمغم في عصبية:

- حتى مساء اليوم كنت مريضتي، أما الآن فأنت عمري كله.

تطلع إلى مريضته بضع لحظات، وهو يبذل كل جهده؛ للسيطرة على انفعاله، ثم التقط نفساً عميقاً، وقال وكأنه يتحدث إليها:

- الحادث الذي أصابك أسقطك في واحدة من أنواع الغيبوبة غير ذات التفسير الواضح؛ فكل أجهزتك تعمل على نحو طبيعي، وعلى الرغم من هذا، فأنت غارقة في غيبوبتك.

كشف ذراع المريضة، ودفع في عروقها إبرة رفيعة، تتصل عبر أنبوب طويل بذلك الجهاز الصغير، وهو يواصل:

- ولقد بذلنا كل المحاولات الممكنة، ليس لعلاجك، ومحاولة إخراجك من غيبوبتك العميقة فحسب، ولكن لفهم وتفسير سببها أيضاً.

كشف ذراعه، ودفع في أورده إبرة مماثلة، تتصل عبر أنبوب شبيه بذلك الجهاز الصغير، متابعاً:

- وفي النهاية، أقرّ الكل بعجزه، وبأنه لا سبيل إلى تفسير حالتك، أو علاجها في الوقت الحالي، وكل ما يمكننا هو الإبقاء عليك آمنة، وفي حالة طبية ممتازة، حتى نتوصّل إلى التفسير أو العلاج.

نقل بصره بينها وبين جهازه الصغير، الذي يحوي مفتاحاً واحداً، مع مصباحين صغيرين على جانبيه، أحدهما له لون أحمر، والثاني أخضر اللون، مع مؤشر رقمي مستطيل أعلاههما...

كان يشعر بتوتر شديد، قبل أن يختبر جهازه للمرة الأولى، فقال وكأنه يفرغ توتره، في حديثه مع امرأة لا تسمعه:

- نظريتي تقول: إن ما تعانيين منه أشبه بجهاز حيوي، نضبت بطاريته الأساسية، فبدأ من الخارج سليماً كما كان، ولكنه في حاجة إلى الطاقة المحركة الرئيسية.

ومال نحوها، مضيفاً فيما يشبه الهمس:

- الطاقة الحيوية.

قالها، وتراجع في توتر، وعاد ينقل بصره بينها وبين جهازه الصغير، والتقط نفساً عميقاً آخر، في محاولة للسيطرة على أعصابه الثائرة، قبل أن يتابع:

- ولست أعني بالطاقة الحيوية هنا تلك الطاقة الطبيعية للجسم البشري، والتي يمكن قياسها بشتى الوسائل الحديثة، وإنما أعني نوعاً آخر من الطاقة... تلك الطاقة التي تكمن في الدم، وتنشأ عن سريانه في العروق... الطاقة التي تمنحنا الحياة، والتي تصنع منا بشراً، يفكر، ويشعر، ويكره ويحب.

التقط نفساً عميقاً آخر، وتمتم:

- طاقة الدم الحيوية.

صمت لحظات، وكأنه ينتظر منها تعليقاً، ثم هزّ رأسه، مغمغماً:

- المسبار الذي غرسته في عروقتك وعروقي، لا يشبه إبرة محقن عادي، فهو ليس مجوّفاً مثله، بل هو مسبار خاص؛ لقياس طاقة الدم الحيوية، ونقل ذبذباتها المنمنمة، إلى جهازي الصغير، الذي يقوم بفحصها، وتحليلها، وقياس قوتها، ثم يقارنها بذبذبات الطاقة الدموية الحيوية الصادرة من عروقي، ويعمل على معادلة الطاقتين...

هزّ رأسه، وكأنما يقنع نفسه بالفكرة، قبل أن يستطرد:

- هذا أشبه بمحاولة إيقاظ بطارية سيارة فارغة... إننا نوصّلها ببطارية سيارة أخرى، فتدور، وتعود السيارة ذات البطارية الفارغة للعمل.

ألقي نظرة على ساعة يده، فوجد أن عقاربها تقترب من الرابعة صباحاً، وأدهشه أن مرّ كل هذا الوقت دون أن ينتبه، فغمغم في توتر:

- أظن أنه من الأفضل أن نبدأ التجربة.

تأكد مرة أخرى من كل التوصيلات، قبل أن تتجه سبابته في تردد وتوتر، إلى الزر الوحيد في الجهاز الصغير...

وبمنتهى العصبية، ضغط الزر...

في البداية، أضاء المصباح الأحمر، وبدأ الجهاز عمله...

ولكنه لم يشعر بشيء...



أي شيء...

لخمس دقائق كاملة، بدت له أشبه بدهر كامل، راح يحدق في الجهاز، وفي المصباح الأحمر، والمؤشر الرقمي المستطيل، بالقرب من قمة الجهاز، والذي ظل يشير إلى الصفر، وكأنما لم يستقبل شيئاً...

لا نبضات عادية، أو فوق عادية...

ولا ذبذبات ولا أي دليل على وجود تلك الطاقة الدموية الحيوية...

وفي توتر شديد، عقد الدكتور وجدي حاجبيه، وهو يغمغم:

- مستحيل! كل حساباتي تؤكد أن...

وقبل أن يتم عبارته، بدأ كل شيء فجأة...

بلا مقدمات، بدأت الأرقام تتحرك في سرعة، على تلك الشاشة المستطيلة...

وشعر الدكتور وجدي بصدمة مباغته...

لم تكن صدمة نفسية أو عصبية، وإنما صدمة حقيقية...

صدمة، شعر معها وكأن لكمة قوية قد أصابت رأسه، دون سابق إنذار...

وأمام عينيه، اللتين اتسعتا عن آخرهما، اختفت معالم الحجر، وظهرت بدلاً منها معالم منزل قديم...

كان من الواضح أن ذكريات هذه المريضة، الغارقة في غيبوبة عميقة، قد انتقلت إليه، بوسيلة ما...

كان المنزل قديماً، يشبه بيوت القرن التاسع عشر، وهناك موقد كبير على الأرض، يمتلئ بفحم مشتعل، وتفوح منه رائحة بخور قوية...

وكانت هناك أصوات عجيبة تتردد...

أصوات بلغة ليست عربية حتماً...

ولا هي حتى واحدة من اللغات الخمس، التي يجيدها...

كانت لغة غريبة...

عجيبة..

ومخيفة...

وكانت هناك يدان، تتحركان حركات عجيبة...

وبين الحين والآخر، تلقيان بعض البخور في الموقد...

وعلى الرغم من حالة الجمود، التي أصابته عقب الصدمة، استطاع أن يستوعب الأمر في سرعة...

إنه الآن داخل عقل المرأة...  
يشعر بما شعرت به...  
ويرى ما رآته...  
ذلك الصوت الذي يسمعه، بتلك اللغة العجيبة، هو صوتها...  
واليدان هما يداها...  
إنه، وعبر وسيلة لم يقرأ حتى عنها من قبل، يرى عبر عينيها...  
ويحيا ذاكرتها...  
كان يريد أن يقاوم هذا الشعور المخيف، إلا أنه عجز عن هذا تماما...  
حاول حتى أن يمد يده؛ ليطفئ جهازه الصغير...  
ولكن هيهات...  
لقد تجمّد كل جسده، وصار أشبه بمريض مصاب بشلل كامل، فيما عدا عقله، الذي  
ظل يعمل...  
ويرى..  
ويشعر...  
كانت نيران الموقد تتأجج أكثر وأكثر، مع ترديد تلك الكلمات العجيبة...  
ثم فجأة، راحت تلك الصورة تتكون داخلها...  
وعلى الرغم من حالة الجمود، التي سقط جسده فيها، شعر الدكتور وجدي برجفة  
عنيفة، تسري في أوصاله، وهو يرى ما رآته المرأة داخل النيران...  
كائن بشع رهيب، تكوّن وسط النيران، وبدا كجزء من الجحيم، بقرنيه الصغيرين،  
وملامحه السوداء البشعة، وزوج الأعين اللتين غابت منهما القرنية تماما، ويدين  
أشبه بقطعتين من الحجر الملتهب...  
وراح الصوت يعلو، ويكتسب رنة رعب، ثم بدأت الكلمات تعود إلى العربية، مع  
صرخة المرأة:  
- انصرف... انصرف.  
ولكن ذلك الكائن البشع واصل التكوّن، حتى صار هو والنار كيانا واحدا...  
وفي مشهد رهيب، خرج من موقد النيران، واتجه نحوها...  
وصرخت المرأة...  
وصرخت...  
وصرخت...

وصرخت...

وسمع الدكتور وجدي صدى صراخها في رأسه...

وعبر ذاكرة عينيها، رأى ذلك الكائن يملأ بصرها كله...

وعبر أذنيها، سمعه يقول:

- أنت أردت هذا.

صرخت المرأة، بكل رعب الدنيا:

- انصرف... لن أفعل هذا مرة أخرى... انصرف... انصرف.

قال ذلك المخلوق البشع، وهو يمدّ نحوها يدين صغيرتين، في كل منهما ثلاثة أصابع، تنتهي بمخالب حادة طويلة:

- لست تملكين الطاقة اللازمة لصرفي.

صرخت بكل رعب وفزع الدنيا، واقترب ذلك الشيء البشع منها أكثر وأكثر، وبدأ ذيله الشبيه بذيل جدي يتلاعب خلفه، و...

وفجأة، توقّف...

وخفق قلب الدكتور وجدي، في رعب هائل، عندما ابتسم ذلك البشع ابتسامة شيطانية، برزت إثرها أنيابه الحادة الرفيعة الطويلة، وهو يقول:

- آه... هناك آخر.

ثم بدأت الصورة تنتسع، ليملاً وجهه البشع بصر الدكتور وجدي كله، ويرنّ صوته المخيف في أذنيه، وهو يتابع:

- أنت جلبت هذا لنفسك.

وحاول الدكتور وجدي أن يصرخ...

حاول أن يستجد...

أن يفعل أي شيء...

ولكنه لم يستطع...

أما ذلك الكائن البشع، فقد غاص في أعماقه، وراح يسيطر على كيانه، و...

“إنها معجزة”...

هتفت بها ممرضة الخامسة صباحاً، وهي تستدعي الطبيب المناوب، عبر الهاتف الداخلي للمستشفى، قبل أن تلتفت إلى المريضة، التي أفاقَت من غيبوبتها العميقة، متابعة في انفعال:

- لقد استعادت مريضة الحجرة 13 وعيها... لست أدري كيف... لقد حضرت في موعدي؛ لقياس وظائفها الحيوية، فوجدتها واعية، تشعر بالدهشة، وتتساءل أين هي... الدكتور وجدي؟! هذا هو أغرب ما في الأمر.

وألقت نظرة على الدكتور وجدي، الذي بدا ذاهلاً، جامداً، يحدّق أمامه في لا شيء، قبل أن تتابع في انفعال بلغ ذروته:

- كل وظائفه الحيوية تعمل جيداً، ولكنه واقع في غيبوبة عجيبة... غيبوبة ليس لها تفسير.... أي تفسير.

☆ ☆ ☆ ☆

## أهل الهوى..

لا بد وأن أنتهي من كتابة هذه المذكرات بأقصى سرعة، قبل أن أعجز عن كتابتها  
تماما فيما بعد..

لا بد وأن يعرف العالم كله الحقيقة..

هذا لو صدقتني أحد..

ولكن كيف يصدقونني، وأنا أروي مذكراتي من داخل هذا المكان..  
من المستشفى..

مستشفى الأمراض النفسية والعصبية..

أرأيتم.. أنتم أنفسكم دخلتم في زمرة غير المصدقين، أو على الأقل المتشككين، فور  
معرفتكم بالمكان..

ولكنني لست مريضا..

صدقوني.. لست كذلك أبدا..

كل ما في الأمر هو أن ما أرويه يبدو أشبه بالجنون، ويدفع البعض إلى الإسراع  
بافتراض أنني مختل عقليا، أو على الأقل نفسيا..

ولكن حتى لا نضيع الوقت في تفسيرات لا طائل منها، دعوني أقص عليكم الأمر  
منذ البداية.. منذ التقيت بمريضي عزيز..

آه.. نسيت أن أخبركم بأنني طبيب.. وطبيب أمراض نفسية وعصبية بالتحديد.. بل  
وصاحب نفس المستشفى، الذي يتم احتجازي فيه كمريض..

دعونا نبدأ من البداية، قبل أن يفوت الوقت.

منذ دخلت عزيز عيادتي في البداية، كدت أجزم بأنه مصاب بمرض ذهاني شديد؛ إذ  
بدا شديد التوتر، زائغ البصر، أشعث الشعر، ثيابه غير مهندمة، ولحيته غير حليقة،  
حتى إنني لم أصدق ما أخبرتني به زوجته، من أنه عالم بكتيريولوجي معروف..

لم يكن عنيفا على الإطلاق، بل بدا مستسلما، بائسا، عاجزا، حتى إنني وبخلاف كل  
القواعد الطبية، تعاطفت معه في شدة، وتعاملت معه برفق شديد، وأنا أسأله مشفقا  
عما يعانیه، وما زلت أذكر إجابته العجيبة، حتى يومنا هذا:

- ما أعانيه هو صورة مما سنعانيه جميعا، في غضون عام واحد من الآن..

سألته في رفق:

- وما الذي سنعانيه جميعا؟!!

تطلع في وجهي لحظات، بعينيه الزائغتين، قبل أن يقول في يأس، وهو يشير بيده:  
- سنعاني منهم.. سيسيطرون على عقولنا جميعا.. على أدمغتنا.. على إرادتنا.. لن  
يسلم شخص واحد منهم؛ لأنهم مثل البكتيريا.

سألته في حيرة:

- مثلها في ماذا؟!

زأغت عيناه أكثر، وهو يلوح بذراعيه في الهواء، مجيبا:

- إنهم ينتشرون في الهواء.. لا تراهم ولا تشعر بهم، ولكنك تستنشقهم وتتنفسهم،  
ومن رثتيك يغزون دمك، ويسيروا عبره إلى مخك، ويبدأون السيطرة عليه.. في  
البداية ستسمعهم يتحدثون إليك، ثم سيلقون عليك أوامرهم، وفي خلال أسبوع واحد  
ستصير عبدا لهم، وستنسى حتى من أنت.

ثم مال نحوي، حتى شعرت بالخوف، وهو يضيف:

- ولا يوجد سبيل لمقاومتهم.. أي سبيل.

بدت لي كحالة هلوسة مثالية، ونموذج للفصام شبه الكامل، فغمغمت:

- وهل تطيع أوامرهم؟!

هز رأسه، قائلا في يأس:

- لن تملك سوى هذا.

تصوّرت أنني أمام حالة تستحق الدراسة بالفعل، فملت نحوه، أسأله في اهتمام:

- هل يمكنك أن تروي لي القصة من البداية؟!

تراجع في مقعده، وهو يواصل التحديق في وجهي، قبل أن يدفن وجهه بين كفيه،  
وهو يغمغم، وكأنه يحدث شخصا آخر في الحجرة:

- سأخبره.. من حقه أن يعرف.. بل من حق العالم كله أن يعرف.. نعم سأخبره.

وعندما رفع عينيه إليّ، كانتا محمرتين كالدم، وهو يقول في توتر:

- البداية كانت في عينة بكتيرية جديدة، حصل عليها طبيب سموم شاب، وحرار في  
تحديد فصيلتها، فأرسلها إلى معلمي لدراستها، وإبلاغه بالنتائج.. ولقد بدأت  
الإجراءات الطبيعية، فوضعت جزءا من العينة في مزرعة خاصة؛ لتنمو فيها  
وتتكاثر؛ لدراسة سلوكها في هذا الشأن، ووضعت قطعة على شريحة مجهرية؛  
لأفحصها عبر المجهر الخاص بالمعمل.

دارت عيناه في محجريهما، وهو يشير بيده، قائلا بلهجة مضطربة:

- وهنا كانت المفاجأة.

شعرت باهتمام شديد، لمعرفة تلك المفاجأة، فعدت أميل نحوه، وهو يواصل بلا انفعال:

- كانت فصيلة حيوية، لم أر لها مثيلا من قبل.. شكلها الخارجي يشبه البكتيريا بالفعل.. والبكتيريا العسوية لو شئت الدقة، أما سلوكها، فلم يكن سلوك بكتيريا على الإطلاق، بل كان أشبه بسلوك مستعمرات النمل، أو خلايا النحل..

بدت على الحيرة، وأنا أسأله:

- وكيف هذا!؟

بدأت يدها تتحركان في انفعال زائد، وهو يجيب:

- كلها كانت متشابهة في مظهرها الخارجي، إلا أنها انقسمت إلى مجموعات، لكل منها وظيفة محددة، والمزرعة البسيطة التي زرعتها فيها بدت بعد أسبوع واحد أشبه بمستعمرة منظمة، بها قائد يحنل مركزها، وجنود يحيطون به، ومجموعات تنتشر في الأطراف.. مستعمرة حقيقية.

أثار الأمر اهتمامي بالفعل، وخاصة مع تلك التفاصيل الفنية، فسألته في لهفة:

- أما زالت تلك المزرعة، أو المستعمرة كما وصفتها، في معملك!؟

هز رأسه نفيا في أسي، وهو يجيب:

- كلا.. لقد نقلتها إلى وحدة الميكروسكوب الإلكتروني، في جامعة القاهرة، وما إن فحصتها هناك، حتى تملكني رعب حقيقي.

بدأ عرق عجيب يتصبب على وجهه، على الرغم من برودة الجو، وزاغت عيناه في شدة، وهو يلوح بيديه في عصبية، مكملا بكل انفعاله:

- إنها ليست بكتيريا، كما بدت تحت ميكروسكوب عادي، بل هي كائنات حية عاقلة، تختفي تحت زي خداعي، يشبه تركيب البكتيريا العسوية، كائنات ما إن أدركت أنني قد كشفت أمرها، حتى شنت هجومها على الفور.

تراجعت في مقعدي، أتطلع إليه لحظات في حيرة، محاولا إعادة تشخيصي الأولى..

الرجل، على الرغم من مظهره وعصبيته، يبدو واعيا تماما لما يقول..

وفي حياتي كلها، لم أر مريضا يمكنه التحدث عن أمور علمية، بهذا القدر من الدقة والمعرفة، على الرغم من أن روايته تشبه أفلام الخيال العلمي، منها إلى الحقيقة!!

وبكل فضولي، سألته:

- وكيف شنت ذلك الهجوم!؟

تضاعف انفعاله، وهو يجيب:

- كنت قد اتخذت كل الاحتياطات، للحفاظ على تلك المزرعة، وعلى الرغم من هذا، فقد رأيتها ترحف على المكتب، أمام عيني، ثم سقطت أرضا، وتحطمت تماما..

مال نحوي بغتة، وبدا أقرب إلى الانهيار، وهو يضيف:

- ومع تحطمها، انطلقوا ينفذون خطة الغزو.

غمغمت بكل دهشتي:

- غزو؟!!

لوح بذراعيه مرة أخرى، صائحا:

- لم أدرك هذا في البداية.. فقط أسرعت أجمع بقايا ذلك الطبق الزجاجي، الذي حوى المزرعة، وعندما فحصتها، لم أجد بها أي أثر لكائن واحد منها، وأدهشني أن تختفي كلها في لحظة واحدة.. ولم أدرك بالطبع أنهم في الهواء من حولي، وأني أستشقمهم، وأطلقهم داخل جسدي، دون أن أدري.

بدأت أشعر بقلق وخوف حقيقيين، في حين نهض هو من مقعده بحركة حادة، وهو يواصل صياحه وانفعاله:

- قبل أسبوع واحد، بدأت أسمع أصواتهم داخلي، وأخبروني بكل شيء عنهم.. أخبروني بأنهم جاءوا مع نيزك صغير، سقط على الأرض، في غفلة من الزمن، وهالتهم في البداية أحجامنا الهائلة، ثم سرعان ما أدركوا أن كل ما يحرك تلك الأجساد الضخمة، بالنسبة لهم، هو مخ صغير نسبيا.

سألته، محاولا كتمان قشعريرة سرت في جسدي:

- وكيف أدركوا هذا؟!!

أشار إلى رأسه، قائلا:

- من مخي.. من ذاكرتي.. من جسدي كله... لقد علمت منهم أنني البداية، وأنهم سينتشرون في الهواء، عبر جهاز التنفسي؛ ليغوصوا في كل جسد أرضي، ويسيطرون علينا تماما.

بدأ يصرخ بكلماته، على نحو مقلق، فضغطت الزر الموجود على سطح مكتبي، وسرعان ما ظهر ممرضو المستشفى، فقلت لهم، محاولا السيطرة على انفعالاتي:

- الأستاذ عزيز يحتاج إلى راحة طويلة.. سنستضيفه لدينا لبضعة أسابيع، حتى يسترد عافيته.

قاوم عزيز طاقم التمريض في استماته، وهو يصرخ:

- أنت أيضا لا تصدقني.. لا أحد يصدقني.. هذا هو مكن قوتهم.. لا أحد يقنع بوجودهم.. سيسيطرون على الجميع.. أنت التالي أيها الطبيب.. أنت رسولهم التالي؛ للقضاء على إرادة البشر.

ظل يواصل صرخاته، وهم يحملونه عنوة إلى قسم الحالات العنيفة، وبكت زوجته في مرارة؛ عندما أخبرتها بأنه سيحتاج إلى علاج طويل؛ للخروج من حالة الهلوسة التي يعيش فيها..



في البداية، اضطررنا لحقنه بعقاقير مهدئة قوية، حتى تمنع إصابته بأي انهيار عصبي عنيف، وعلى الرغم مما أصابته به من استكانة، كان يحدث نفسه طوال الوقت، باعتبار أنه يتحدث مع تلك الكائنات الميكروسكوبية، التي تعيش داخله.

ثم، وبعد يومين فحسب، صار شديد الهدوء، شاردا البصر، يطيع الأوامر طاعة عمياء، دون جدل أو مناقشة..

ولكنه واصل الحديث مع نفسه..

أو معهم..

تصوّرت عندئذ أننا قد نجحنا في السيطرة على حالته، وبدأت أدوّن هذا في ملفه، حتى كانت ليلة باردة، سهرت فيها لإنهاء بعض الملفات في مكنتي، عندما بدأ الاتصال..

فجأة، سمعت صوتا من داخلي، يقول في آلية:

- فهمنا لتكوينكم يزداد يوما بعد يوم.

شعرت برعب هائل، وخيّل إليّ أنني سأقضي نحبي رعبا؛ فالصوت كان ينبعث من أعماقي بالفعل.. من ثنايا مخي...

وبكل رعب الدنيا، صرخت:

- ماذا تريدون مني؟!

أتاني الصوت نفسه يقول:

- كل ما أردناه حصلنا عليه بالفعل.. وكل ما عليك الآن، هو أن نتقلنا إلى كل من تعرف.. عبر الهواء.

رحت أصرخ بكل قوتي:

- لا.. هذا ليس حقيقيا.. إنها هلاوس سمعية.. مجرد هلاوس سمعية.

قال ذلك الصوت بنفس الآلية:

- هذا ما سيقوله الآخرون.. وهذا يضمن عدم كشف أمرنا.. لقد أصبحت تحت سيطرتنا تقريبا.. انقلنا عبر الهواء.. انقلنا إلى كل من تعرفه.

رحت أصرخ، وأصرخ، وأصرخ، حتى امتلأ مكنتي بكل أفراد النوبة الليلية، من أطباء وطاقم تمريض..

حاولت أن أشرح لهم الأمر، إلا أن نظرات الإشفاق فاضت من عيونهم، وأسرع بعضهم يحضر العقاقير الطبية المهدئة، و...

وأنا الآن أرقد في جناح خاص، مجاور لجناح عزيز، وقد صرت مثله، زائغ العينين، أشعث الشعر، أتلقى علاجي في انتظام، وأنا أعلم أنه في أية لحظة الآن، ستكتمل سيطرتهم على عقلي، ولن أملك إلا طاعة أوامرهم.

ولكن هذه المذكرات ستكشف أمرهم، إذا ما قرأها شخص لديه بعض الخيال..

وعندئذ ستبدأ المقاومة..

مقاومة الغزاة..

لا.. ليسوا غزاة.. إنهم السادة.. السادة الجدد..

كما تأمرون أيها السادة.. سأمزق هذه المذكرات فوراً، وسأنفذ أوامركم، وأنقلكم  
عبر الهواء، لكل من ألتقي به..

أنا عبدكم المطيع أيها السادة..

مُرُونِي أَنْفِذ..

فأنتم السادة الآن..

سادتي..

وسادة الأرض..

الجدد.

☆ ☆ ☆ ☆

# الآخر..

لا يمكنني احتمال كل هذا..  
لا يمكنني أبدا..  
ذلك القاتل الوحشي قيدي في إحكام، حتى لم أعد أستطيع تحريك طرف واحد في جسدي كله..  
ولا يمكنني حتى إبعاد رأسي..  
أو إغلاق عيني..  
أنا مُجبر على رؤية كل ما يرتكبه من أعمال وحشية دموية..  
لست أدري حتى كيف فاجأنا..  
ولا كيف فعل بنا هذا..  
كنت ورفاقي نبحث عن مكان متوارٍ يمكننا فيه أن ندخن بعض المخدرات دون أن يلمحنا أحد..  
ولقد عثرنا بالمصادفة على هذا المكان..  
منزل قديم متهدم، تطل إحدى حجراته، التي فقدت جدارا أساسيا، على ساحة خالية، تمتد لمسافة كيلو متر تقريبا..  
ولقد بدا لنا المكان مثاليا للغاية..  
مكان بعيد..  
خالٍ..  
مهجور..  
لا يمكن أن يشعر بك أحد، أو حتى يسمعك أحد فيه..  
وبالفعل بدأنا في إعداد مجلسنا المظلم على تلك الساحة الخالية، وأشعل بعضنا النار، في حين بدأ البعض الآخر في إعداد النرجيلة، و...  
وفجأة، ظهر هو..  
لم نكن قد بدأنا في تدخين أي مخدرات، كما قد يتبادر إلى ذهنك في البداية، ولم يكن أينا قد اقترب منها حتى..  
كنا جميعا في أتم الصحة والعافية..  
وعقولنا كلها يقظة..

تماما..

وعندما ظهر هو، كان شرسا صارما، من اللحظة الأولى..

وكان يحمل مسدسا..

في البداية، تصورنا أنه شخص يمازحنا، حتى أن بعضنا قد أطلق ضحكات مرحة،  
ودعابات لطيفة..

لكنه لم يكن مازحا..

علمنا هذا، عندما أدار عينيه الشريرتين في وجوهنا، بكل غضب الدنيا..

عندها توقفنا عن الضحك والدعابة..

وبدأ الخوف يتسلل إلى نفوسنا..

فماذا يريد منا؟

ماذا؟

كنا خمسة شباب أقوىاء..

ولكنه كان يحمل مسدسا..

وتصورنا كلنا أن ما يستهدفه هو سرقتنا، والاستيلاء على ما نملك..

ولقد عرض عليه بعضنا هذا بالفعل..

وجاءت إجابته، لتفسر لنا كل شيء..

جاءت عبر رصاصة من مسدسه، أصابت رأس أحدنا مباشرة..

ومع سقوط رفيقنا جثة هامدة، أدركنا الحقيقة..

إنه ليس سارقا..

إنه قاتل..

رحنا نرتجف، ونبكي، ونتوسل..

وما من مجيب..

كان قاسيا، صارما، ساديا، يستمتع برعبنا وعذابنا وتوسلاتنا وألمنا..

وبكل وحشية الدنيا، أمرنا أن يقيد بعضنا البعض..

ومع الرعب الذي ملأ نفوسنا، أطعناه..

كنا نعلم أن القيود ستعني أننا قد صرنا في قبضته تماما..

ولكننا لم نملك الاعتراض..

وكان هذا ما ينشده بالضبط..

القوة..

والشعور بالقوة..

وبكل مهابة الدنيا وخوفها ورعبها، رحت أحقق فيه، بعد أن انتهيت من تقييد آخر رفاقي، عندما انتهت إلى تلك النظرة الوحشية، التي يرمقني بها..

لم أكن أدري لحظتها أن اختياره قد وقع عليّ لأكون شاهدا على وحشيته وساديته، قبل أن يحين دوري..

ولست أدري حتى كيف قيدني، ولكنني وجدت نفسي مكبلا تماما، وغير قادر على تحريك إصبع واحد..

ولقد جذب جفني إلى أعلى وأسفل بوسيلة ما، فلم أعد قادرا على إغلاق عيني أيضا..

كنت مضطرا إلى مراقبته، وهو يرتكب جرائمه الوحشية..

وكان جسدي كله يرتجف..

ويرتجف..

ويرتجف..

وفي برود سادي عجيب، اتجه نحو أول رفاقي، وأخرج من جيبه سكيننا ذا نصل طويل حاد، راح يمرره على وجه رفاقي، الذي راح ينتحب في رعب، والكمامة اللاصقة على فمه تمنعه من الاستجداء..

ثم بدأت اللعبة السادية..

بطرف نصل السكينة الحاد، راح ذلك السفاح يمزق وجه رفاقي، بضربات سريعة سطحية..

رأيت الدم يغرق وجهه..

والرفيقان الآخران تتسع أعينهما في رعب هائل..

ثم جاءت الطعنة الأخيرة..

بعد أن تمزق وجه رفاقي الأول تماما، طعنه ذلك السفاح في جانب عنقه، طعنة سريعة غادرة قوية..

وبعينيّ المذعورتين، شاهدت النصل يغوص في عنق رفاقي، من الجانب الأيسر، ثم يبرز من الجانب الأيمن..

واتسعت عيناه في ألم ورعب..

ثم سقط جثة هامدة..

وتدفقت الدماء من عنقه في غزارة..  
وفي هدوء، التقت السفاح إلى الثاني..  
وفي ببطء أيضاً، راح يمرر نصل خنجره..  
ليس على وجهه هذه المرة، وإنما على صدره..  
وعبر الكمامة اللاصقة، سمعت رفيفي يهيمهم متوسلاً، ويحاول الصراخ، ولكن ذلك  
السفاح لم يبد ذرة واحدة من الاهتمام..  
ولا من الرحمة..

لقد بدأ بكل هدوء في تمزيق صدر الثاني بنصل خنجره، ورفيقي يتلوى ألماً  
وعذاباً..

ثم بدأ السفاح في شق صدره..  
كان يعمل في هدوء مذهل، كما لو أنه يشق صدر لعبة من الفراء..  
وأمام عيني الذاهلتين، رأيت قلب رفيفي الثاني..  
رأيته يبرز، عبر ضلوعه المقطوعة وصدره الممزق..  
رأيته ينبض..

وينبض..

وتساءلت في حيرة، على الرغم مما ملأ جسدي من خوف ورعب: كيف يمكن أن  
ينبض قلب على هذا النحو المكشوف؟

بل كيف يمكن أن يحيا؟

وبكل رعب الدنيا، شاهدت السفاح يمد يده، ويمسك قلب صديقي داخل صدره، ثم  
ينتزعه في قوة..

وانتفض جسد رفيفي الثاني، قبل أن يسقط جثة هامدة..

وأصيب الرفيق الثالث والأخير بحالة رعب، لم أرَ لها مثيلاً، وهو يحدق في يد  
السفاح التي أمسكت قلب رفيقه وهو يتطلع إليه في ازدراء، ثم ألقاه بكل قوته نحو  
تلك الساحة الخالية قبل أن يلتفت إلى ضحيته الثالثة..

كان الرعب قد بلغ من الثالث مبلغه، حتى أنه راح يطلق صرخات هستيرية  
مذعورة مكتومة، من خلف كمامته اللاصقة، فجذبه السفاح من شعره، وراح يتطلع  
إلى رعبه في استمتاع صامت قبل أن يخالف أسلوبه السابق ويضع نصل سكينه  
الطويل على عنقه ويبدأ في ذبحه بكل هدوء وبرود..

وراح رفيفي الثالث ينتفض..

وينتفض..

وينتفض..

وتفجرت الدماء من عنقه في قوة، وأغرقت ثيابه وثياب السفاح، الذي واصل عمله بنفس الهدوء والبرود، قبل أن ينهض واقفا وهو يحمل رأس رفيقي الثالث من شعره وقد ظلت عيناه متسعيتين من الرعب والألم..

رأيت جسد رفيقي الثالث يسقط بلا رأس، والسفاح يقف في هدوء ممسكا بالرأس الذي يقطر دما قبل أن يرفعه إلى وجهه، وكأنما يريد أن يلقي عليه نظرة متشفية أخيرة قبل أن يلقيه أيضا بكل قوته نحو تلك الساحة الخالية..

وبعدها التقت إلي..

وبكل رعب الدنيا، راح جسدي يرتجف..

لقد حان دوري..

لو أنه قتلهم بكل تلك الوحشية، فماذا سيفعل بي؟؟

ماذا؟

ماذا؟

اقترب السفاح مني في ببطء وانحنى يواجهني مباشرة، التقت عيناه بعيني دون مواربة وأصبحت أرى ملامحه في وضوح..

رباه! إنني أعرف هذه الملامح جيدا..

أعرفها بكل تفاصيلها..

أعرفها حتما..

واقترب مني السفاح بوجهه..

واقترب..

واقترب..

و..

“ما كل هذه البشاعة؟!..”

سمعت العبارة فجأة، وتلاشى معها ظلام الليل، لأنتبه إلى أنني راقد على فراش نظيف، في حجرة قليلة الأثاث بها إضاءة جيدة، وعلى مسافة خطوات مني يقف رجل في معطف أبيض، يقول لآخر في ثياب مدنية:

- حالات انفصام الشخصية، التي تبلغ هذا الحد، لا يمكنها أن تتوقف عن تناول الدواء أبدا.

سأله المدني في توتر:

- ما فائدة العلاج إذن؟

أجابه صاحب المعطف الأبيض في حزم:

- الحفاظ على المريض في حالة توازن.. فبدون العلاج، يمكن أن يصنع المريض لنفسه عالما وهميا خياليا، يحقق فيه ما يعجز عن تحقيقه بشخصيته العادية في عالمه الفعلي..

ألقى ذو الثياب المدنية نظرة عليّ، قبل أن يقول:

- أتعني أن عجزه عن الانتقام من هؤلاء الأربعة، الذين أهانوه وسط حيه السكني، هو الذي دفعه إلى تقمص شخصية السفاح الوهمي.

أجابه صاحب المعطف الأبيض في حماس:

- بالضبط.. لقد تقمص في خياله المريض تلك الشخصية الدموية البشعة التي استدرجتهم إلى منطقة مهجورة وقتلتهم جميعهم بلا رحمة، كما سمعته يروي في هذيانه.

أشار إليّ ذو الثياب المدنية، قائلا:

- في عالمه الوهمي!؟

كرر صاحب المعطف الأبيض:

- بالضبط.

التقط ذو الثياب المدنية نفسا عميقا، قبل أن يقول في حزم:

- معذرة أيها الطبيب، ولكنني كرجل أمن لم أستطع غض البصر عن أربع جرائم بهذه الوحشية رواها لي مختل عبر الهاتف، مهما كانت تفسيراتك الطبية، خاصة أنه عندما وصلت سيارة النجدة إلى حيث أشار في اتصاله، كانت هناك دمي ممزقة في كل مكان، وكان هو يقف هناك، ممسكا رأس دموية من القطن، ويصر في هستيريا واضحة، على أنها رأس آخر ضحاياه.

تساءلت في حيرة: عن يتحدثون؟

السفاح هو من فعل هذا، وليس أنا.

إنهم مصابون بمشكلة نفسية حتما.

لقد خلطوا بيني وبين الآخر.

لديهم انفصام في الشخصية بالتأكيد.

لست أنا من فعلها.

إنه هو..

ذلك السفاح..

الآخر.



☆☆☆☆

## جميل جمال..

لا أحد يمكنه أبدا أن يدرك أو يفهم، لماذا أطلقت (أم جميل) على ابنها هذا الاسم..  
التفسير الوحيد، الذي توصلت إليه، بعد جهد جهيد، هو أنها اختارت اسمه، من قبل  
أن تراه، وانتقته له، وهو لا يزال بعد جنينا في رحمها..

هذا لأن (جميل)، ابن الحاج (جمال)، عمدة قرينتنا، قد عانى من تشوه جنيني في  
رحم أمه؛ بسبب بعض الأدوية الخاطئة، التي تناولتها في أشهر الحمل الأولى، على  
الرغم من تحذير طبيب الوحدة الصحية لها بالابتعاد عن هذا، فولد (جميل) بملامح  
مشوهة، إلى حد مخيف..

وجه متغضن، أشبه بوجه عجوز في الثمانين، وأنف أفطس، يكاد لا يبرز من  
وجهه، وشفة أرنبية مشقوقة، وعينين ليستا على محور واحد فاليمني أعلى من  
اليسرى بثلاثة سنتيمترات على الأقل، وبروز زائد عند كتفه اليسرى، بالإضافة إلى  
سنة أصابع في كل يد..

ومنذ طفولته، نفر منه كل سكان قرينتنا، وصاروا يخشون رؤيته ويتحاشون النظر  
إليه، وأطفالهم يتعاملون معه بعدائية واضحة، فيهتف بعضهم في وجهه بأنه عفريت  
جاء من تحت الأرض، في حين يتماذى آخرون، فيلقونه بالحجارة، عندما تقع  
أعينهم عليه..

ولأن هذا أصابه ببعض الجروح، أكبرها كان في مشاعره البريئة، عندما لم يكن قد  
تجاوز الثالثة من عمره بعد، فقد رأت (أم جميل) أن تعفى ابنها من عذابه، فلم تعد  
تسمح له بالخروج من المنزل، أو حتى الوقوف أو الجلوس أمامه، وحشدت له كل  
وسائل التسلية المتاحة، في حوش المنزل الكبير؛ حتى لا يضطر إلى الخروج..

وكبر (جميل)، وهو سجين في منزله، وكثيرا ما كنت ألمحه يختلس النظر، من  
خلف النافذة في حسرة إلى الأطفال الذين يمرحون ويلعبون في الطرقات، وما إن  
ينتبه إلى حتى يختفي في سرعة، وكأنما يخشى أن أراه، أو يخشى أن تزعجني  
رؤيته، فيظهر الامتعاض على وجهي، أو أؤذى مشاعره دون أن أدري..

ولأن (جميل) لم يكن يستطيع الخروج من منزله، فلم يذهب إلى المدرسة، أو يتعلم  
حرفا واحدا طيلة سنوات عمره، التي تجاوزت العشرين ببضعة أشهر، وإن كنت قد  
لمحته ذات مرة يمسك كتابا، أظنه كان يحاول فهم ما به، أو يطالع صورته على  
الأرجح..

ولأنني أقيم على مقربة من منزل (جميل)، فقد اعتدت رؤيته، واعتاد رؤيتي، ولم  
يعد يسارع بالاختباء، كلما وقع بصري عليه، أو وقع بصره على..

وذات يوم، وعندما كان في التاسعة من عمره، لمحته يتطلع إلى في اهتمام،  
فابتسمت، ولوحت له بيدي..

في البداية لمحت ذعرا يطل من عينيه، وكأنما لم يستطع تفسير حركة يدي، ثم لم يلبث أن لوح بيده في تردد، فابتسمت شققا، ولوحت له بيدي مرة أخرى، ثم واصلت طريقي، ونسيت الأمر كله..

ولكن من الواضح أن (جميل) لم ينسه..

ففي كل مرة، كنت أمر فيها أمام منزله، كان يلوح لي بيده، ويمنحني بفرحة المشوّه ابتسامة، كانت- للأسف- تزيد ملامحه بشاعة، ولكنني كنت أجيبه كل مرة بابتسامة، مع تلويحة يد..

خيّل إليّ بعدها أن (جميل) صار ينتظر قدومي كل يوم، حتى يحظى مني بتلويحه اليد، مع تلك الابتسامة المشفّقة..

ثم سافرت بعدها للعمل في واحدة من بلاد النفط، عندما كان (جميل) في الخامسة عشرة من عمره، وقضيت هناك خمس سنوات، لأعود إلى القرية وهو في العشرين، مازال حبيس حوش منزله، يكتفى بالتطلع عبر النافذة، عندما لا يكون هناك أحد..

وعندما لمحنى (جميل)، عند عودتي، تهللت أساريره كلها، وراح يلوح بيديه في لهفة، جعلتني أردد تحيته، وأنا أسأله، ولأول مرة عن أحواله..

ورأيت الدهشة تملأ ملامحه، ودون أن يجيب، منحني ابتسامة كبيرة، جعلت ملامحه تبدو أشبه بملامح الوحوش، في أفلام الرعب الأجنبية..

كنت قد تزوجت، قبيل سفري للعمل، من فتاة من خارج القرية، وأنجبت منها ابنة جميلة، كنت أفخر بالسير في طرقات القرية، وأنا أمسك يدها الصغيرة، وأعرفها بمسقط رأس والدها..

وكان (جميل) أحد أهم وأكبر مشكلاتي مع زوجتي الشابة، عندما عدت إلى القرية..

ففي أول مرة لمحته، أطلقت صرخة ذعر، وعدت مبتعدة، وهي ترتجف وتبكي، وبذلت يومها جهدا كبيرا؛ لإقناعها بأن هذا (الوحش) كما وصفته، لا يغادر منزله أبدا، وأنه ليس هناك داع على الإطلاق للخوف منه، إلا أنها، وعلى الرغم من هذا، لم ترتح لسكننا إلى جوار (الوحش)، ورجتني أن نجد طريقا آخر، خلال غدونا ورواحنا، نتجنب المرور بمنزله..

وكان من الطبيعي أن أنفذ مطلبها، وأن أحرص على ألا نمر بمنزل (جميل) أبدا، مهما كانت الأسباب..

تصورت أيامها أنها ستكون آخر مرة أرى فيها (جميل)..

ولكنني كنت مخطئا..

ف ذات مساء، كنت أنتزه مع ابنتي (هدى)، في طرقات القرية، كالمعتاد، عندما خطر ببالي أن أريها تلك الساقية القديمة، التي اعتدت الاستذكار عندها في طفولتي، وأيام

شبابي الأولى، فسرت ممسكا يدها الصغيرة، وهي تتقافز خلفي في خفة كعادتها،  
حتى بلغنا الساقية، و..

وهناك، كانت المفاجأة..

ففي ظل الساقية القديمة، الذي صنعه بدرا فضيا، مكتمل الاستدارة في السماء،  
شاهدت (جميل)..

كنت أتصور أنه لا يغادر منزله قط، ولكنه كان هناك، يجلس في صمت وسكون،  
ويتأمل البدر في شروده، وكأنما يبهره ضوءه الفضي الجميل الناعم..

وعندما شعر (جميل) بقدمنا، استدار إلينا..

وارتجف جسدي كله. على الرغم مني..

فتحت ضوء القمر، بدت ملامحه أكثر بشاعة من حقيقتها، حتى لقد بدا بالفعل مثل  
وحش أسطوري، ينتظر ضحيته القادمة، في ظل الساقية القديمة..

ولو هلة، استعاد ذهني كل ما قرأته من قصص الوحوش، وكل ما شهادته من أفلام  
الرعب الاجنبية، قديمها وحديثها..

استعاد ذهني ذلك الرابط العجيب، الذي اشتركت فيه كل قصص الرعب تقريبا، بين  
الوحوش بكافة أنواعها، واكتمال استدارة القمر في السماء..

استعاد ذهني كل هذا، في لحظة واحدة، وأنا أحاول إبعاد نظر (هدى) الصغيرة عن  
ملامح (الوحش)..

وبكل فرحته لرؤيتنا، فوجئت بابنتي الصغيرة (هدى) تلوح له بيدها، وتمنحه ابتسامة  
بريئة جميلة..

كانت ملامحه شديدة الوضوح لها، وعلى الرغم من هذا فهي لم تخف، ولم تشعر  
حتى بذرة واحدة من التوتر..

ألقيت عليه تحية سريعة، وأنا لا أستطيع كبح ذلك التوتر، الذي سرى في جسدي  
كنه، وجذبت ابنتي (هدى) في عصبية، وأنا أسير معها بخطى سريعة، والمسكينة  
تتقافز خلفي، محاولة اللحاق بخطواتي الواسعة، مع ساقياها الصغيرتين الرقيقتين..

وعندما اقتربنا من المنزل، خفت من سرعتي قليلا، وعندئذ سمعت (هدى) تقول  
في براءة مدهشة:

- جميل هو عمو هذا يا أبي.

فجرت عبارتها كل الدهشة في أعماقي، إلى حد مذهل..

جميل هو؟! كيف رأت تلك الخلقة البشعة جميلة؟!!

كيف؟

ألا يعرف الصغار الفارق بين القبح والجمال؟!!

ألم تتضح معرفتهم بهذا بعد؟!

كان السؤال يواصل طرح نفسه في أعماقي، عندما كانت زوجتي تُعدّ طعام العشاء، وعلى الرغم من أنني حاولت عدم ذكر الأمر، أو الإشارة إليه، إلا أن (هدى) راحت تروييه في حماس، جعل عيني زوجتي تنتسعان عن آخرهما، بكل رعب الدنيا، ثم هاجت وماجت، وصرخت في وجهي، وأقسمت ألا تترك (هدى) وحدها معي فترة أخرى..

وحتى يمر الأمر في سلام، التزمت الصمت تماما، مزمتنا ألا أناقشه معها، قبل أن تهدأ أعصابها، ويزول توترها، في غضون يوم أو يومين..

وفي اليوم التالي، تشيبت (هدى) بأمها، حال استعدادها للخروج إلى السوق، فلم تجد زوجتي مفرا من أن تصحبها معها، خاصة وأنه كان يوم عطلة بالنسبة لي، وكنت أميل فيه للنوم، حتى وقت متأخر..

ولكن فجأة، شعرت بزوجتي توقظني، وهي ترتجف من قمة رأسها، وحتى أخصم قدميها، وعندما فتحت عيني، هالني وجهها الشاحب، وهالنتي عينيها الزائغتين، فقفزت من الفراش أسألها:

- ماذا حدث؟!

كان صوتها أكثر ارتجافا من جسدها، وهي تقول:

- كنا في طريقنا إلى السوق، عندما هاجمنا ثلاثة من المثلثمين، أمسك أحدهم (هدى)، ووضع سكيننا كبيرة على عنقها، وهو يطلب مني أن أعطيه كل ما معي وإلا ذبحها أمام عيني.

اتسعت عينا في رعب، وأنا أصرخ:

- أين (هدى)؟! أين ابنتي؟!

برزت (هدى) من خلفها، وهي تقول في براءة طفولية:

- أنا هنا يا أبي.

احتضنتها بكل لهفتي، وأنا أهتف مرتجفا:

- حمدا لله على سلامتكم.. حمدا لله على سلامتكم.

ثم أدت عيني إلى زوجتي، مستطردا في انفعال:

- ليس من المهم أن يأخذوا أي شيء.. المهم أن ابنتنا سالمة.

بدت أكثر ارتجافا، وهي تقول:

- ولكنهم لم يأخذوا شيئا.

امتزجت ارتجافتي بدهشتي، وأنا أسألها:

- وكيف هذا؟!

مالت نحوي، وهي تجيب بنفس الانفعال:

- لأنه جاء.

سألته بكل توتري:

- من؟!

بدت (هدى) الصغيرة شديدة الحماس، وهي تجيب، بدلا من أمها:

- عمو الجميل..

حدقت فيها بكل دهشتي، ثم رفعت عيني إلى زوجتي، التي قالت، والانفعال لم يفارقها بعد:

- لست أدري من أين جاء، ولكنه كان شديد الغضب، ولقد أمسك معصم صاحب السكين، وكسره بحركة واحدة، ثم التقط (هدى) قبل أن تسقط أرضا، وصرخ في وجوه الملتئمين، فانطلقوا يعدون مبتعدين في رعب، وهم يطلقون صرخات رهيبية، حتى ذلك الذي تحطم معصمه، كان يجري وكأن أشباح الدنيا كلها تطارده..

حدقت ذاهلا في وجه زوجتي، وهي تضيف، ودموعها تنساب على خديها الجميلين:

- وبعدها أعطاني (هدى)، في منتهى الرفق والدعة، وسمعت (هدى) تشكره في سعادة، ولدهشتي البالغة، طبعت قبلة بريئة رقيقة، على وجهه المشوه البشع.. لحظتها تراجع في دهشة، ووضع يده على موضع قبلتها، ثم انطلق يبتعد وسط الحقول..

ثم ألقت جسدها على الفراش، وهي تقول باكية:

- إنني لم أشعر بمثل هذا الرعب في حياتي كلها.

قضيت ذلك اليوم كله، أحاول التسرية عن زوجتي وابنتي، أملا أن أنسيهم تلك التجربة البشعة، حتى كانت الحادية عشرة مساء، عندما سمعت طرقات مترددة على باب المنزل، وعندما فتحت الباب، كانت دهشتي بالغة..

لقد كان (جميل)، يقف صامتا، يتطلع إلى في قلق، لم أتمالك نفسي معه وأنا أقول في خشونة لم أتعدها:

- ماذا تريد؟!

برزت زوجتي خلفي، وتطلعت إليه في صمت مضطرب دون أن تنبس ببنت شفة، في حين جاءت (هدى) تعدو، ثم هتقت في سعادة، عندما رأته:

- عمو الجميل..

أدهشني أن ألمح في عينيه لمحة حانية، وهو يجذب يده من خلف ظهره، ويمدها بشيء فيها نحو زوجتي، في تردد شديد..

في تلك اللحظة، جمعت الدهشة البالغة بيني وبين زوجتي الشابة..

فذلك الشيء الذي قدمه لها (جميل)، كان زهرة..

زهرة واحدة بسيطة، يمد يده بها نحوها في تردد، وهو يتحاشى النظر إلينا جميعا..  
ولثوان، تجمد بنا المشهد كله، ثم لم تلبث زوجتي أن مدت يدها تلتقط الزهرة، وهي  
تغمغم:

- شكرا.

استدار يبتعد عن الباب في سرعة، وكأنما أنهى مهمة، تردد طويلا في القيام بها..  
أستعيد تلك الذكريات كلها، بعد أن مر شهر واحد على هذا الحدث الأخير، وبعد أن  
عدت إلى المنزل، وسألت زوجتي، وهي تنتهي من إعداد طعام الغداء:

- أين (هدى)؟!!

فأجابتنني في بساطة عجيبة:

- تلعب في الخارج.. اطمئن... (جميل) معها.

لحظتها اتسعت عيناها في دهشة..

وابتسمت..

ولحظتها فقط، فهمت لماذا رأت (هدى) الجمال، في ملامحه المشوهة..

رأته؛ لأنها أظهر وأنقى منا جميعا..

رأته؛ لأنها لم تنظر إلى وجهه..

بل إلى قلبه..

لم تر الجمال في ملامحه المشوهة، ولكنها رأت الجمال في نفسه الطيبة ومشاعره  
الرفيقة، وحبه للبراءة..

رأت كل هذا، مما لم نره نحن الكبار، الذين أعمتنا الدنيا بتعقيداتها..

رأته ببراءتها في (جميل)..

(جميل جمال).

☆ ☆ ☆ ☆

## بمنتهى الدقة..

بكل توترها، أَلقت (ناهد) نظرة على ساعة يدها، قبل أن تتلفت حولها، وهي تقف عند ناصية ذلك الطريق، الذي بدا أهدأ من المعتاد، على الرغم من أن عقارب الساعة لم تكن قد تجاوزت العاشرة مساء بعد..

وفي قلق، شابه بعض الغضب، تساءلت: لماذا لم يحضر (أكرم) في مواعده؟!

ولماذا لا يحضر أبدا في مواعده؟

إنه يثير حنقها بأسلوبه هذا..

لقد التقت، خلال العامين الماضيين، بأخرين في نفس عمره تقريبا، ولكنهم كانوا أكثر التزاما منه بكثير..

كلهم كانوا يحضرون في مواعدهم..

إلا هو..

الباقون كانوا يحضرون أحيانا قبل مواعدهم، وينتظرون حضورها، أما هو، فعلى الرغم من انبهاره الأولى بها، عندما رآها أول مرة في (الكافيتريا)، التي تعمل بها، إلا أنه لم يحضر مرة واحدة في مواعده..

أبدا..

وهي تكره الانتظار..

تكرهه، كما لا تكره أي شيء آخر..

إنها، وطيلة عمرها، شديدة الدقة في كل ما تفعله..

كل شيء في حياتها يسير بنظام..

وبحسابات كثيرة..

وربما أكثر مما ينبغي..

في بعض الأحيان تراودها فكرة أن سر تأخرها في الزواج، وقد تجاوزت الثلاثين ببضع سنوات، هو أنها شديدة الدقة..

والرجال كما اعتادتهم، لا يميلون إلى هذا..

الرجال الذين تختارهم على الأقل..

وعملها في (الكافيتريا) يعرضها للكثير من المضايقات، ولكنها اعتادت هذا في صبر وروية، طالما ستظفر أخيرا بما تريد..

وهي تظفر دوما بما تريد..



وهي مازالت تذكر كيف حاول (أكرم) مغازلتها في البداية، وكيف أدهشه أسلوب صدها له، بمنتهى الحزم والأدب معا..

ولقد حاول في المرة الثانية استخدام أسلوب الإغراء، عندما ترك لها بقشيشا محترما، وهو يمنحها ابتسامة ذات معنى، ولكنها شكرته بكل أدب، وانصرفت عن مائدته في سرعة.

ومن هنا جاءت محاولته الثالثة..

لقد تحدث إليها بكل تهذيب، وأخبرها أنه وجد فيها الأنثى التي يبحث عنها، وعرض دعوتها إلى عشاء في مطعم فاخر؛ ليتعارفا أكثر، باعتبار أنه يسعى لخطبتها. وليس للعبث بها..

ولقد رفضت دعوته على نحو شديد التهذيب..

ولكن دون صرامة هذه المرة..

وعبر زميلاتها، علمت أنه يقوم ببعض التحريات الداخلية عنها، وأنه علم أنها عزباء، لم تتزوج قط، وأنها يتيمة الأبوين، وتعيش وحدها في بيت للمغتربات، على مقربة من (الكافتيريا)...

ولقد تكرر عرضه مرة ثانية..

وفي تلك المرة، كان أسلوبه يجمع ما بين الضراعة والتهذيب..

ومن عينيه، أطلت نظرة، كانت تنتظرها منذ البداية..

نظرة حب..

ومع تلك النظرة وحدها، قبلت دعوته..

وفي ذلك المطعم الفاخر، المطل على نيل (القاهرة)، بدا لها شديد الجدية، وهو يتحدث عن نفسه، ويطلب منها أن تتحدث عن نفسها..

وفي ذلك اليوم أيضا، جاء متأخرا..

هي وصلت إلى المطعم في موعدها بالضبط كعادتها، وانتظرته نصف ساعة كاملة، قبل أن يصل، ويعتذر بأن هذا حدث بسبب الزحام..

وعلى الرغم من أنه قد أخبرها يومئذ الكثير عن حياته، لم تخبره هي إلا بما عرفه من زميلاتها فحسب..

وبينما يوصلها إلى بيت المغتربات، الذي تقيم فيه، طلبت منه أن ينزلها على مسافة بعيدة، حتى لا يراها أحد، ثم طالبته بأن يخفى أمر لقاءاتهما، حتى ينحسم الموقف بينهما، في حين طلب هو منها أن يلتقيا مرة أخرى؛ لمزيد من التعارف..

وفي حجرة نومها، أخرجت ذلك الدفتر الصغير، الذي لا يفارقها أبدا، ودونت فيه اسمه، ورقم سيارته الفاخرة، التي تشف عن ثراء كبير..

ودونت أيضا تاريخ موعدهما التالي..  
وفى الموعد التالي، وصل أيضا متأخرا..  
هي وصلت في موعدهما كالمعتاد، وهو تأخر عشرين دقيقة..  
كالمعتاد أيضا..  
وفى الموعد الثاني، ذهبوا معا لمشاهدة فيلم سينمائي رومانسي جديد..  
ولقد فعل، خلال مشاهدتهما للفيلم، ما توقعته تماما..  
حاول ملامستها، وملاطفتها، و..  
وأوقفته في حزم، ولكن دون أن تحاول جرح مشاعره..  
وكما توقعته تماما، ضايقه هذا كثيرا..  
ومع خروجها من دار العرض، حاولت ملاطفته وإرضاءه، وأخبرتها أنها تشعر  
بالتوتر، عندما يكونان في مكان عام..  
وبسرعة، عرض عليها أن يلتقيا في هذه المنطقة الهادئة..  
ولقد ترددت بعض الوقت، ثم وافقت، وهي تخفض عينيها في خجل، ولكن صوته  
أنبأها بأن هذا قد أسعده كثيرا..  
في ذلك اليوم أيضا، دونت كل شيء في دفترها الصغير، ووضعت تاريخ اللقاء  
الثالث، ثم أحاطته بدائرة كبيرة..  
واليوم، يوم موعدهما الثالث، لم يستطع الوصول في موعد كالمعتاد..  
لقد وصلت في موعدهما، بنفس الدقة التي اعتادتها..  
وهو تأخر..  
وعلى الرغم من ضيقها وغضبها، فقد انتظرت؛ لأنها لا تستطيع تفويت هذا الموعد  
بالذات..  
هذا لأنه، بالنسبة إليها، هو الموعد الحاسم..  
كانت قد ارتدت ثيابا أنيقة، ومعطف مطر من النوع المقاوم للماء، وأضافت إلى  
يديها الصغيرتين قفازين من الجلد الطبيعي، أضفيا عليها مظهرا أكثر رقا من  
حقيقتها المتواضعة..  
وكانت تريده أن يرى كل هذا..  
خطتها، التي وضعنها بمنتهى الدقة، كانت تستلزم أن يراها، في أبهى حلة، وأكمل  
زينة..  
هذا يجعل الامور أكثر يسرا وسهولة..

دوما..

مضت خمس وعشرون دقيقة على انتظارها، تعرضت خلالها لمضايقات بعض المارة وركاب السيارات، قبل أن تظهر سيارته..

كانت تشعر بغضب شديد، إلا أنها لم تعاتبه..

فقط دلفت إلى سيارته في صمت، عندما أوقفها أمامها، وما أن أغلقت الباب خلفها، حتى غمغم مبتسما:

- معذرة، ولكن..

قاطعته في هدوء حاسم:

- لا داع للاعتذار..

ابتسم أكثر، وهو ينطلق بسيارته، قائلاً:

- تبدين شديدة الأناقة الليلة.

غمغمت:

- لقد عرضني هذا للكثير من المضايقات.

ضحك قائلاً:

- الناس معذورون.. كيف يمكن أن يروا كل هذا الجمال، ثم يمضون في صمت.

عقدت حاجبيها، قائلة في غضب:

- المفترض أن تغار.

هز كتفيه، مجيباً:

- إنني كذلك.

ثم التفت إليها مبتسما، ومستطرداً:

- ولكنني مازلت أعذرهم.

قبل أن يسألها:

شفتيها الجميلتين، دون أن تجيب، فأطلق ضحكة أخرى، وقال:

- إلى أين تحبين أن نمضي؟!!

غمغمت، وهي تشيح بوجهها:

- إلى مكان هادئ.

سألها في اهتمام:

- أية درجة من الهدوء؟!!

حمل صوتها الكثير من توترها، وهي تجيب:

- مكان لا يرانا فيه أحد.

لمحت عينيه تتألقان، وقد خيل إليه أنه قد أدرك مغزى ما ترمي إليه، وبدا الحماس واضحا في صوته، وهو يقول:

- على مقربة من هنا، منطقة شديدة الهدوء، وليس بها سكان تقريبا، ولن يرانا فيها أحد بالتأكيد.

انخفض صوتها، وهي تقول:

- ألن يكون هذا خطيرا؟! سمعت أن بعض البلطجية يتربصون بالسيارات، التي تأتي إلى الأماكن المقفرة، و..

قاطعها بضحكة عالية، وهو يقول:

- اطمئني.. أنا أحمل مسدسا.

أومأت برأسها، دون أن تجيب، ولاذت بالصمت، وهو يقطع الشوارع الساكنة، حتى بلغ منطقة مقفرة بالفعل، فأوقف سيارته بين بنايتين، وهو يقول، في صوت تقاطرت منه اللفظة:

- هنا لن يرانا أحد بالتأكيد.

قالها، وهو يقترب منها، فغمغمت دون مقاومة:

- أتحمل مسدسا بالفعل؟!!

انتزع مسدسا صغيرا، إيطالي الصنع، من جراب تحت إبطه، ولوح به أمامها، قائلاً:

- ها هو ذا.

تطلعت إلى المسدس بلا انفعال، وهو يغمغم:

- أيمكن أن يحمينا؟!!

هتف في حماس:

- بالتأكيد.

هتف بها، وهو يعيد المسدس إلى جرابه، و..

وفجأة، اتسعت عيناه عن آخرهما..

ومن عينيه المتسعيتين، تقجرت نظرة تجمع بين الألم والدهشة..

وعندما حاول الالتفاف إليها، وسحب مسدسه مرة أخرى من جرابه، انتزعت هي ذلك الخنجر الصغير الرفيع، الذي غرزته في عنقه، أثناء انشغاله بإعادة المسدس إلى جرابه، ثم طعنته به مرة أخرى، فوق عظمة القص تماما....

وبلا أية مشاعر، شاهدت نصل الخنجر كله يغوص في عنقه، مع نظرة الذهول في عينيه، وأمسكت معصمه بيسرها في قوة؛ لئتمعه من إخراج مسدسه..

قاوم بضع لحظات، ولكنها عاودت طعنة مرة ثانية..

وثالثة..

ورابعة..

حتى توقفت مقاومته تماما، وعيناه مازالتا مفتوحتين عن آخرهما، وتحملان نفس نظرة الألم الذاهلة..

وفي هدوء شديد، وعندما اطمأنت إلى أنه قد لقي حتفه، انتزعت الخنجر الصغير من عنقه، ومسحته بمنديل ورقي في هدوء، وهي تخرج بعض المناديل المعطرة من حقيبة يدها الجلدية، وتستخدم مرآة السيارة الداخلية؛ لتمسح الدماء عن وجهها، في دقة شديدة..

كان من الضرورة أن يبدو الأمر كحادث سطو كالمعتاد؛ لذا فقد أخذت حافظة نقوده، ومسدسه، وأفرغت الحافظة من النقود، التي زادت عن ألفي جنيه، ووضعت النقود في حقيبة يدها الصغيرة، ثم ألقت الحافظة والمسدس في كيس من البلاستيك الأسود، أخرجته من جيب معطفها..

وعندما غادرت السيارة، خلعت معطف المطر الملوث بالدم، والقفازين الجلديين، وألقت كل هذا في الكيس الأسود نفسه، وهي تراجع خطتها الدقيقة..

ستستقل واحدة من سيارات الأجرة، على بعد خمس أو ست شوارع من المكان، وستذهب إلى منطقة بعيدة تماما، حيث تلقى الكيس الأسود في الماء، وثقل المسدس سيضمن غوصه في الأعماق، ثم تعود بعدها إلى حيث تقيم، وبراءة الأطفال في عينها..

وفي الغد، ستخبر زميلاتها أنه شخص حقير، حاول التحرش بها، فتركته وحده وانصرفت، وسيبرر لهن هذا عدم حضوره مرة ثانية..

والنقود لن تنفقها مرة واحدة.. ستحتفظ بها لشهر أو شهرين، حتى يتم قيد الحالة بأنها سطو مسلح، أسفر عن مصرع الضحية..

وفي هدوء، وبينما تسير حاملة ذلك الكيس الأسود، تذكرت ضرورة أن تضيف اسمه إلى قائمة ضحاياها، في ذلك الدفتر الصغير..

فكل شيء ينبغي أن يسير في دقة..

في منتهى الدقة.

## ليلة مثالية..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة مساءً عندما ارتفع رنين هاتفي المحمول وأعلنت شاشته أن صديقي الغامض نسيم هو المتصل، فضغطت زر الاتصال قائلاً في شيء من المرح:

- نسيم.. كيف حالك؟ هل عدت إلى الظهور مرة أخرى؟!

فاجأني صوته شديد التوتر وهو يقول:

- مراد.. أريد أن أراك الآن.

سألته في دهشة:

- ولماذا الآن؟

أجابني بكل توتره:

- أرجوك.. لا تلقِ الكثير من الأسئلة.. إنني أحتاج إلى رؤيتك فوراً.

حاولت هضم الموقف كله وأنا أغمغم:

- فليكن.. أنت في منزلك؟

أجابني في لهفة غير طبيعية:

- بل في القبو.

لم أكن قد سمعته يتحدث عن ذلك القبو من قبل، لذا فقد سألته في حذر:

- أي قبو؟

أجاب في سرعة ولهفة:

- قبو منزل أسرتي القديم في الفيوم.. سأعطيك العنوان.

لم تكن الدهشة قد فارقتني بعد، عندما ركبت سيارتي لأنطلق بها إلى الفيوم تلبية لنداء صديق..

والواقع أن نسيم لم يكن صديقاً حميماً كما قد تتصورون، بل هو صديق تعرفته في حفل عام أقامته شركة الأدوية التي يعمل بها منذ ما يقرب من عامين، ولقد بدا شديد الطيبة والمودة، على الرغم من وجهه الشاحب وعينييه الغائرتين وأسنانه الصفراء التي توحى بإهماله التام للمظاهر والنظافة الشخصية..

يومها حدثني كثيراً عن الأبحاث التي يجريها على عدد كبير من مرضى الدم ومحاولاته لإيجاد بديل صناعي للدم البشري يمكنه تعويض حالات النقص الدائم فيه، ويستطيع في الوقت ذاته مد خلايا الجسد بما تحتاج إليه من الأكسجين والغذاء..

ولقد عارضته أيامها كثيرا باعتبار أن الدم البشري سائل حيوي يستحيل إيجاد بديل عملي له، لكنه بدا شديد الاقتناع والحماس لأبحاثه إلى حد منعه من إحباطه بأرائى المخالفة..

بعدها اختفى نسيم لأكثر من ثلاثة أشهر قبل أن يعاود الاتصال بي مرة أخرى، ليخبرني في حماس أن أبحاثه تتطور بشكل كبير وطلب لقائى للحديث عنها..

وذات ليلة اكتمل فيها القمر وتوسط كبد السماء التقينا وتحدثنا كثيرا وطويلا، وراح يشرح لي أبحاثه ونتائجها، وأنا أستمع إليه في اهتمام صامت..

كان أكثر نحولا وشحوبا، كأنه لم يتناول طعاما كافيا خلال الأشهر الثلاثة، لكنه أيضا كان أكثر حماسا وحرارة..

التقينا بعدها خمس مرات على فترات متباعدة، وفي كل مرة كان يزداد نحولا وشحوبا ويتطلع إليّ بنظرات عجيبة متوترة، حتى خشيت أن تكون أبحاثه قد أرهقت عقله مع قلة ما يتناوله من طعام، فلم يعد يستطيع التفكير على نحو سليم..

أما اتصال الليلة فقد جاء بعد ستة أشهر من الانقطاع التام، وعلى ذلك النحو العجيب الذي ذكرته..

وعلى الرغم من هذا، فما أنا ذا على مشارف مدينة الفيوم حيث أرادني أن أكون..

لم يكن التوصل إلى عنوان منزل والديه عسيرا؛ فهو منزل قديم تحيط به الحقول من كل جانب، وطرازه يوحي بأن بناءه يعود إلى أكثر من قرن من الزمان..

وعند باب المنزل استقبلني نسيم في توتر شديد، وحاول أن يبتسم ابتسامة مضطربة وهو يقول:

- كنت أعلم أنك سنأتى.

قلت وأنا أصافحه في حذر:

- لا يمكنني أن أتأخر على نداء صديق.

كان قد وصل إلى درجة مخيفة من الشحوب والنحول، وصارت نظراته أشبه بنظرات المجانين، وخاصة عندما ألقى نظرة عصبية على القمر المكتمل في السماء وهو يغمغم:

- أعتقد أنها ليلة مناسبة تماما.

لم أدر ما الذي كان يعنيه بكلمة "ليلة مناسبة" هذه، لكنني انتهيت إلى أن كل لقاء لنا كان يتم مع اكتمال القمر، مما جعلني أتساءل: أمصادفة هذه أم أن نسيم يعشق الليل والقمر على نحو ما؟

لم يمنعني هذا من اللحاق به إلى قبو المنزل، والذي أدهشني أن يحوي ما يشبه معملا كيماويا كاملا، على ذلك الطراز القديم الذي تراه في أفلام الرعب، فسألته في دهشة:

- ماذا تفعل هنا؟

أجابني في سرعة واقتضاب:

- أجري أبحاثي.

غمغمت وأنا أدير عيني في المكان في حيرة:

- هناك أجهزة حديثة أكثر دقة.

غمغم وهو يتجه نحو قارورة كبيرة تحوي سائلا شفافا له لون أحمر باهت:

- هذا يكفي.

صب بعض ذلك السائل الأحمر الشفاف في وعاء صغير وهو يسألني دون أن يلتفت إليّ:

- ماذا تعرف عن مصاصي الدماء؟

صدمني السؤال العجيب، فحدقت فيه لحظات وأنا أغمغم:

- ما يعرفه كل متابع لأفلام الرعب الإنجليزية والأمريكية.. إنها كائنات ليلية شبيهة أموات لهم أنياب بارزة و...

قاطعني وهو يرج الوعاء الصغير في رفق ثم أضاف إليه سائلا آخر له لون أزرق باهت:

- هراء.. كل هذا من خيال برام سنوكر، أول من ألف رواية عن مصاص الدماء، الذي اقتبس اسمه من الكونت دراكيولا حاكم ترانسلفانيا القديم (حقيقة).

غمغمت في حذر:

- هذا ما يعرفه الكل عن مصاصي الدماء الخرافيين.

وهنا التفت إليّ وبدت عيناه زائغتين أكثر وهو يقول:

- هنا تكمن المشكلة.

ثم مال نحوي وبدا صوته مخيفا وهو يضيف:

- ليسوا خرافيين.

تراجعت في دهشة مغمغما:

- ماذا؟!!

اعتدل والتقط محقنا سحب بوساطته بعض الخليط الذي صنعه وهو يقول في توتر:

- لم أكن أتوقع أن توصلني أبحاثي إلى هذا، ولكنهم كائنات حقيقية تعيش بيننا وتتغذى على دماء الضحايا التي يقع اختيارها عليها.

وتألفت عيناه وهو يضيف في لهجة بدت أشبه بالجنون:



- ولكن ليس بوساطة أنياب حادة ومخالب وكل تلك الخرافات التي روّجت لها الروايات وأفلام السينما.. إنهم يتعاملون بوسائل بشرية طبيعية.. وسائل هي السر في أن أحدا لم يكشف أمرهم طوال قرون من الزمان.

لذت بالصمت بضع لحظات وأنا أتطلع إليه قبل أن أسأله في حذر:

- كيف يحصلون على دماء ضحاياهم إذن؟

لوّح بيده الحرة في الهواء وهو يمسك المحقن بيده الأخرى في حرص هاتقا:

- تماما كما يحصل أي بشري عادي على الدماء.

ثم مال نحوي بحركة حادة، مستطردا:

- هل سبق لك أن تبرعت بالدم؟

تراجعت مبتعدا عنه وراودني شعور بأنني قد أخطأت بالمجيء إليه، وأنا أغمغم:

- ليس كثيرا.

اعتدل بنفس الحركة الحادة وهو يقول:

- إنهم يغرسون إبرة سميكة في عروقك ويسحبون كمية من الدم عبر أنبوب شفاف إلى وعاء يحوي مادة مانعة للتجلط.. أليس كذلك؟!

غمغمت في حذر أكبر:

- بلى.

هتف في انفعال:

- هذا ما يفعله مصاصو الدماء بالضبط.. في جيب كل منهم ستجد كيسا فارغا يحوي تلك المادة المانعة للتجلط، وعندما يقع اختيارهم على الضحية المناسبة يغرسون الإبرة السميكة في عروقتها.. وبالتحديد في وريدها العنقي ويسحبون الدم من جسدها.

اتسعت عيناى لحظات، قبل أن أقول في عصبية:

- هذا أمر لا يمكن حدوثه.. لا أحد سيستسلم لشخص يغرس إبرة غليظة في وريده العنقي.. سيقاوم حتما.

رفع ذلك المحقن إلى جوار وجهه مجيبا: الضحية أولا.

تراجعت أكثر محدقا في ذلك المحقن وأنا أسأله في عصبية:

- نسيم.. لماذا طلبت مني الحضور إلى هنا؟

ابتسم ابتسامة أضفت على مظهره شكلا مخيفا وهو يقول:

- ألا توافق معي على أنها ليلة مناسبة؟!

قلت في عصبية أكثر:

- نسيم.. إنك تحتاج إلى علاج طبي.

هز كتفيه في لا مبالاة، وهو يقول:

- كل ما أحتاج إليه هو الراحة.. لم أحصل على الراحة منذ فترة طويلة.. طويلة للغاية.

حاولت الابتعاد أكثر، إلا أن أدوات معمله البدائي تصدت لمحاولتي، فقلت بكل عصبيتي:

- نسيم.. لا تجبرني على فعل أمر لا أريده.

ابتسامته هذه المرة كشفت أسنانه الصفراء القبيحة وهو يقول:

- أحقا لا تريده؟!!

ثم رفع يده الحرة إلى أعلى وهو يقترب مني بمحفته متابعا في نشوة عجيبة:

- ألم تنتبه لكونها ليلة مثالية؟! القمر بدر والسماء خالية من السحب ونحن نقترّب من منتصف الليل.

حدقت في ذلك المحقن الذي يحمله في تحفز وأنا أفكر في أنه يدفعني بالفعل إلى أمر لا أريده، ولكنه واصل مع اقترابه مني أكثر:

- وهذا المنزل مثالي.. إنه وسط حقول كبيرة ويبعد مسافة كافية عن أقرب جار، ونحن في قبو مغلق و...

قبل أن يتم عبارته انفض عليّ فجأة بمحفته الذي يحوي ذلك الخليط الذي أجهل ماهيته، و...

وبسرة لم يتوقعها ملت بجسدي جانبا وأمسكت معصم يده التي تحمل ذلك المحقن، ولويته في قوة وشاهدت محفته يسقط أرضا، فلويته ذراعه خلف ظهره وأنا أقول في قسوة:

- معلوماتك عن مصاصي الدماء ناقصة يا هذا.

كان يقاوم في استماتة ولكن جسده النحيل الضعيف لم يسمح له بهذا، فأضفت وأنا أدس يدي في جيبي:

- إنهم يتمتعون بقوة تفوق قوة البشر وبسرعة استجابة غير طبيعية.

أخرجت من جيبي ذلك الكيس الذي يحوي المادة المضادة للتخثر، والذي يمتد منه أنبوب قصير ينتهي بإبرة غليظة، متابعا:

- ونحن نفضل في المعتاد تخدير الضحية أولا ولكنك أجبرتني على فعل ما لا أريده.

غرست الإبرة الغليظة في عنقه، وهو يصرخ:

- لقد كشفت أمرك منذ زمن وأبحاثي نشرتها على شبكة الإنترنت قبل وصولك إلى هنا.. العالم كله سيكشف أمركم.. العالم كله سيعرف بوجودكم.

أجبتة في سخرية قاسية وأنا أشاهد في شراة دمائه الطازجة تسيل عبر الأنبوب القصير إلى كيس الدم:

- ومن سيصدقك؟!!

لم أكن قد تناولت وجبة دم طازجة منذ زمن طويل، ولكن نسيم لم يكن من طراز الضحايا الذي أفضله، فهو شاحب نحيل يحوي جسده دماء ضعيفة قليلة..

ولكنني كنت مضطرا..

فلقد كان على حق تماما..

إنها ليلة مثالية..

للغاية.

☆ ☆ ☆ ☆

## شباب إلى الأبد..

للهولة الأولى بدا محرر صفحة الحوادث في تلك الصحيفة اليومية الشهيرة ماجد مجدي، أنه أمام سبق صحفي كبير، يمكن أن يقفز باسمه إلى الذروة، عندما اتصلت على هاتفه الخاص، وليس هاتف الجريدة، زوجة العالم الشهير سالم وهيب، الذي احتلت أخبار اختفائه الغامض مكان الصدارة في كل الصحف تقريبا خلال الأسبوع الماضي.

كانت الشرطة تكثف جهودها للبحث عن سالم وهيب الذي أعلن منذ ثلاثة أسابيع فحسب، أنه إزاء كشف جديد سيقلب كل موازين العلم رأسا على عقب.

ولقد بذل كل إعلامي في مصر جهدا كبيرا لمعرفة هذا الكشف الخطير، لكن مقابلة الدكتور سالم بدت مستحيلة تماما، إذ أن زوجته نوال سيدة المجتمع الشهيرة، لم تسمح لهم بهذا قط، وأخبرتهم بكل الحزم أن العالم الكبير يرفض الإدلاء بأي تصريح خاص قبل أن يعلن كشفه الخطير للعالم أجمع.

ثم فجأة وبلا مقدمات أخبرت السيدة نوال الشرطة عن الاختفاء المفاجئ لزوجها دون أن يترك خلفه أدنى أثر.

في البداية تصور بعض رجال الشرطة أن الزوجة قد قتلت زوجها منذ أن رفضت السماح لأي شخص برؤيته أو مقابلته أو حتى سماع صوته عبر أسلاك الهاتف، ولكن كل التحريات أثبتت أن سالم وزوجته عاشقان منذ زمن طويل، وأن السيدة نوال ما زالت مبهورة بزوجها على الرغم من تجاوز كليهما منتصف الأربعينيات، وأنه من المستحيل أن تقدم على أي شيء يمكن أن يؤذيه.

بالإضافة إلى هذا لم تعثر الشرطة أو أجهزة الأدلة الجنائية على أي أثر يشير إلى حدوث جريمة من أي نوع في المنزل أو المعمل الصغير الملحق به، كما أن ذلك الحزن الذي انهمر من عيني السيدة نوال وهي تحتضن طفلها الوحيد في مرارة بدا صادقا للجميع، مما أثار الكثير من علامات الاستفهام حول اختفاء العالم.

فلقد بدا كما لو أنه قد تلاشى تماما.

ثيابه كلها في موضعها.

حافظته نقوده..

سلسلة مفاتيحه..

وحتى بطاقات ائتمانه..

فكيف اختفى؟

كيف؟

كل هذا دار في ذهن ماجد وهو يستقبل مكالمة السيدة نوال التي طلبت منه فيها الحضور إلى منزلها حتى تطلعه على ما تستطيع أن تطلع أحدا عليه.

وبأقصى سرعة استطاعها كان يدق باب فيلتها لتستقبله بنفسها، قائلة في حزن وانكسار وابنها الصغير يتشبث بيدها في توتر وكأنه يخشى أن يختطفه منها أحد:

“كنت أعلم أنك ستأتي مسرعا”.

قالتها في هدوء حزين، فابتلع ماجد لعابه في صعوبة، وغمغم:

- لم يكن من الممكن أن أتأخر.

دعته للدخول وجلست أمامه في صالون الفيلا وهي تضع ابنها الصغير على ركبتيها، فتشبث بها مرة أخرى وهو يتطلع إلى ماجد في قلق، فربتت عليه في حنان محاولة تهدئته وهي تقول:

- ليس لدي من شك في أنك تعلم لماذا أنت هنا.

غمغم ماجد محاولا كتمان انفعاله:

- بشأن اختفاء الدكتور سالم.

أومأت برأسها إيجابا وضمت إليها ابنها أكثر وهي تقول:

- بالضبط؛ المجتمع كله منشغل بالبحث عن سر اختفائه، ولقد استجوبتني الشرطة ثلاث مرات وأخبرتهم في كل مرة أنني مثلهم أجهل سر اختفائه.

غمغم ماجد:

- أعلم هذا.

تطلعت السيدة نوال إلى عينيه مباشرة قبل أن تقول في حزم:

- ولكنني لم أكن صادقة في هذا.

ترجع بحركة حادة، واتسعت عيناه وهو يحدق فيها قبل أن يقول متلعثما:

- إذن فأنت تعلمين؟!!

أومأت برأسها في حزم وهي تضم طفلها إليها مجيبة:

- بالتأكيد.

قاوم ذلك الانفعال الشديد الذي سرى في كيانه كله وهو يعتدل على مقعده ويسألها في توتر:

- وهل تتوبن إخباري؟!!

أومأت برأسها مرة أخرى، مجيبة:

- لهذا طلبت مقابلتك، فزوجي كان يطالع ما تكتبه دوما ويقول: إنك من أكثر من يكتبون في هذا المجال صدقا والتزاما.

أوما برأسه وهو يزدرد لعابه دون أن يستطيع النطق بكلمة، فتابعته هي في هدوء لا ينتاسب حتما مع الموقف:

- اختفاؤه يرتبط بذلك الكشف الكبير على نحو مدهش، ولكنه كان يخبرني دوما أنه يحتاج إلى إجراء ولو تجربة واحدة على الشر قبل أن يعلن كشفه.

اندفع يسألها في لهفة:

- وما هذا الكشف بالضبط؟

صمتت لحظات متطلعة إليه قبل أن تجيب في حزم:

- حلم البشرية منذ الأزل.. الإكسير.. إكسير الشباب.

تراجع في مقعده كالمصعوق يحدق فيها ذاهلا مستنكرا، وكأنما تصور أن المرأة قد أصيبت بنوع من الجنون بسبب اختفاء زوجها المفاجئ، وبدا من نظراتها أنها قد استوعبت ما دار في ذهنه، فهزت رأسها واحتضنت ابنها أكثر وكأنها تحميه منه وهي تقول:

- أعلم أن هذا قد يبدو أشبه بالجنون، ولكن المؤسف أنه حقيقة؛ سالم توصل بالفعل إلى عقار يعيد الحيوية والشباب إلى خلايا الجسد، بحيث ينقص بيولوجيا عدة سنوات من العمر قدرها هو بعشر سنوات تقريبا من النتائج التي حصل عليها من تجاربه على حيوانات المعمل.

غمغم ماجد:

- ولكن هذا...

قاطعته في حزم:

- حقيقة يا أستاذ ماجد.. حقيقة ستفسر لك كل شيء، لو أنك فقط حررت عقلك وقررت قبولها.

ظل صامتا بضع لحظات يواصل تحديقه فيها قبل أن يقول في توتر:

- فليكن.. ما علاقة هذا باختفائه؟

مطت شفيتها وألقت نظرة حانية على طفلها قبل أن تقول:

- لقد أيقظني ذات يوم قرب الفجر ليخبرني أنه قد أجرى التجربة على نفسه وتناول العقار الذي يبدأ تأثيره خلال ساعات قليلة، ليلتها أصابني الفزع وعاتبته على ما فعل، ولكنه كان حنونا للغاية وهو يخبرني أنه واثق من نجاح عقاره، وسرعان ما سأدرك هذا.

غمغم ماجد وهو يحاول ازدراد لعابه في صعوبة:

- هل.. هل قتله العقار؟

هزت رأسها نفيا وهي تجيب:

- على العكس.. لقد نجح نجاحا مبهرا؛ ففي العاشرة من الصباح التالي بدأ تأثيره شديد الوضوح. لقد زالت تجاعيد وجهه القليلة وصارت بشرته صافية واختفى الشيب الذي كان قد بدأ يسري في شعره، وبدأ أكثر حيوية ونشاطا إلى حد جعله يشبه صورته عندما كان في الثالثة والثلاثين من العمر.

هتف ماجد مبهورا:

- مدهش!

ابتسمت ابتسامة حزينة، وطبعت قبلة على جبين طفلها، قبل أن تقول:

- هكذا بدأ الأمر في البداية، مما جعله يطير سعادة وأخبرني أنه سيعد جرة أخرى لي حتى ننعّم معا بشباب أبدي، ونعوّض تلك الأيام التي ضاعت في تجاربه وأبحاثه.

بدأ مبهورا بضع لحظات قبل أن يسأل في توتر:

- ما علاقة هذا باختفائه إذن؟ هل علمت جهة ما بكشفه العظيم فقررت التخلص منه؟

هزت رأسها نفيا مرة أخرى، وقالت في حزن:

- مطلقا.. إنه على الرغم من سعادته لم يعلن عن كشفه هذا لأي جهة، وإنما عكف على صنع جرة ثانية، مؤكدا أن الكشف سيذهل العالم عندما يظهر معا في المؤتمر الصحفي أصغر سنا ويرى العالم كله عبقرية كشفه.

سألها ماجد وقد ازداد انفعالا:

- ماذا حدث إذن؟

تنهدت بكل الحزن والأسى قبل أن تجيب:

- في صباح اليوم التالي أصابني الذعر عندما شاهدت شابا يافعا يخرج من معمله وعلى وجهه كل علامات الأسى، ليفاجئني بأنه سالم زوجي وبأن العقار ما زال مستمرا في تأثيره ولم يتوقف عند حدود السنوات العشر التي توقعها، بل يواصل عمله حتى صار هو في أوائل العشرينيات من عمره.

اتسعت عيناه عن آخرهما مغمغما:

- يا إلهي!

واصلت بكل الحزن والأسى:

- الذعر الذي أصابه كان أضعاف الذعر الذي أصابني، ولقد أخبرني أنه سيبدل قصارى جهده لإنتاج عقار مضاد يوقف عمل الإكسير في أسرع وقت ممكن.

- صمتت لحظة، لم يجرؤ هو فيها على نطق حرف واحد قبل أن تكمل:
- ولكن ذاكرته كانت تتخفف بدورها وتتناسب مع ما كان عليه في العشرين من عمره، وارتبك عمله وفشلت محاولاته، و...
- عادت إلى صمت مفعم بالحزن لحظات قبل أن تضيف في اقتضاب:
- ولم ينجح عقاره المضاد.
- اتسعت عينا ماجد عن آخرهما، وهو يغمغم:
- وماذا حدث بعدها؟
- زفرت زفرة حارة، وهي تجيب:
- واصل العقار عمله.
- سألها في صعوبة:
- إلى أي مدى؟
- ابتسمت ابتسامة شاحبة حزينة وهي تهز رأسها، وغمغمت وهي تطبع قبلة أخرى على جبين طفلها:
- من حسن الحظ أننا لم ننجب.
- اتسعت عينا ماجد أكثر وهو يحدق في طفلها، مغمغما في لهجة أقرب إلى الذعر:
- ولكن هذا...
- بدت ابتسامتها أكثر شحوبا وهي تقول:
- من العجيب أن كل محققي الشرطة لم ينتبهوا إلى هذا، وكلهم تصوروا أن الطفل الذي أراه هو ابنا، ولم يخطر ببال أحدهم ولو لحظة واحدة أنه سالم زوجي.
- قفز من مقعده ذهولا وهو يحدق في الطفل، وانتبه فجأة لأنه يبدو أصغر سنا مما كان عليه عندما وصل إلى المنزل، وانعقد لسانه، فلم يستطع النطق بكلمة واحدة في حين تابعت هي:
- زوجي الذي أحببته من كل كياني، والذي سأظل أحبه وأراه.
- بصعوبة بالغة، غمغم محدقا في الطفل:
- وتريدني أن أنشر هذا؟!!
- هزت رأسها قائلة:
- أردت فقط أن يُشاركني شخص ما الحقيقة.. ويُمكنك نشر ما تريد لأنني اخترت التوقيت في دقة؛ فمع موعد النشر لن يمكنك إثبات أي شيء.
- قال في صعوبة:



- هناك تحاليل للحامض النووي، و...

قاطعته في حزم:

- كل هذا لن يفيد.

هتف:

- ولماذا؟

كانت ثياب الطفل قد اتسعت، وبدا وكأنه في الثالثة من عمره فحسب عندما طبعت  
قبلة أكثر حنانا على جبينه مجيبة:

- لأنه سيكون عندئذ، قد...

بترت عبارتها لتزرد لعابها في صعوبة ثم أكملت مرتجفة:

- تلاشى.

ولم ينطق ماجد بكلمة واحدة.

أي كلمة..

☆ ☆ ☆ ☆

## كَمَّ مُهْمَلٌ..

انفعال عجيب ذلك الذي استقبل به حمدي زميل عمره فؤاد في تلك الليلة..

ولكنه انفعال لم يدهش فؤاد لحظة واحدة.

فمنذ كانا زميلين في كلية العلوم لم يتغير كلاهما قط.

فؤاد هادئ دوماً وشديد الصبر في كل ما يخطط له، شديد الذكاء على نحو ملحوظ.

حمدي أيضاً كان شديد الذكاء إلى حد بهر كل أساتذته، ولكنه على عكس فؤاد؛ كان قليل الصبر، كثير الانفعال والحماس في كل ما يدرسه ويفعله ويخطط له.

وبعد تخرجهما، وعلى الرغم من عبقريتهما ومن أنهما كانا على رأس دفعتهما بفارق ملحوظ، لم يتم تعيين أي منهما كمعيد في الكلية؛ لأن ابني اثنين من أساتذة الكلية ممن يقلون عنهم ذكاء، فازا بالمنصبين لأسباب واهية لم تقنع أيهما.

وفي الوقت الذي اكتفى فيه فؤاد بوظيفة باحث في المعهد القومي للبحوث براتب محدود إلى جوار عمله كاستشاري علمي لعدة شركات خاصة، رفض حمدي التعيين في أي وظيفة حكومية أو خاصة، واستغل الثروة التي ورثها عن والده الراحل لينشئ لنفسه معمل أبحاثه الخاص في فيلا الأسرة القديمة في قويسنا.

ومنذ أكثر من عامين يتحدث حمدي في حماس عن اختراع جديد سيجعله أشهر عالم في الكرة الأرضية كلها، وسيرشحه حتماً للفوز بجائزة نوبل في العلوم.

ولأن حمدي يتحدث دوماً في حماس وانفعال أياً كان ما يتحدث عنه، لم يهتم فؤاد كثيراً بحديثه، وواصل حياته على نحو طبيعي.

حتى كان هذا اليوم..

لقد اتصل به حمدي في حماس شديد وأخبره أنه قد أنهى اختراعه ويريد أن يكون شاهداً على تجربته الأولى..

وعلى الرغم من مشاغل فؤاد العديدة، قرر ألا يخذل زميل عمره؛ قاد سيارته في السادسة مساءً إلى فيلا عائلة حمدي في قويسنا..

كان يعرف المكان جيداً منذ كان والد حمدي الراحل يدعوه إلى ما سماه عزبته، حيث كانت الفيلا خارج مدينة قويسنا ومحاطة بفدانين من الفواكه، كان لها الفضل في رفض حمدي للعمل وعدم احتياجه إلى المال.

وعندما وصل فؤاد إلى الفيلا وقبل أن يطرق بابها، لفت انتباهه جسمان كبيران أشبه بكشكي هاتف قديمين تم صنعهما إلى جوار سور الفيلا وتم إيصالهما بكابلات كهربية للضغط العالي..

وما أن رآه حمدي حتى هتف بكل انفعاله:

- كنت أعلم أنك ستأتي.

غمغم فؤاد، في حذر لم يدر له سببا:

- كان من الضروري أن أفعل.

كان حمدي يلهث من فرط الانفعال وهو يميل نحوه قائلا:

- لقد فعلتها.. حققت حلم العلماء منذ عشرات السنين.

سأله فؤاد بنفس الحذر:

- أي حلم منها؟ العلماء لهم الكثير من الأحلام.

اعتدل حمدي ولهث أكثر وهو يجيب:

- الانتقال الآني.

ارتفع حاجبا فؤاد في شدة، وهو يحدق فيه بعينين اتسعتا عن آخرهما من فرط الدهول..

الانتقال الآني هو بالفعل حلم العلماء منذ عشرات السنين..

حلم الانتقال في الزمان والمكان أنيا..

حلم أن تكون في مصر وتدخل جهازا خاصا يفكك أجزاء جسمك وينقلها كالموجات اللاسلكية إلى جهاز مماثل في سوريا..

أو حتى في الولايات المتحدة الأمريكية..

والأهم أن يفعل هذا في لحظة واحدة..

شيء أشبه بالسحر والخرافة..

ولكن هكذا العلم، وهكذا التكنولوجيا..

في البداية تكون فكرة أشبه بالحلم..

ثم نظرية مبهرة، تؤيدها معادلات رياضية وفيزيائية..

وبعدها فجأة تصبح حقيقة..

حقيقة تبهر الناس وتدهشهم في البداية، ثم سرعان ما يعتادونها ويستخدمونها في حياتهم اليومية ويضيع انبهارهم بها، ويبحثون عن الانبهار التالي..

والتالي..

والتالي..

وهكذا..

ومتابعته لدينا العلم والتكنولوجيا أثبتت له هذا..

ففي العقد الأول فقط من القرن العشرين تحول الكثير من الخيال إلى حقيقة..  
العالم الروسي "شيرنوبروف" اخترع آلة الزمن عام 1997م..  
والدكتور محمد علي حول الاختفاء من خيال إلى حقيقة عام 2000..  
وحتى التصغير حققه علم "المونوبول"، و"الفيمتوثانية" جعلها الدكتور أحمد زويل  
حقيقة علمية..

وها هو ذا حمدي يحدثه عن الانتقال الآني..

وانتقلت إليه عدوى الانفعال وهو يسأله:

- ولكن كيف؟ كيف فعلتها يا حمدي؟

أجابه بكل حماسه:

- هذه قصة طويلة يا صديقي.. المهم أنني قد فعلتها.

ثم عاد يميل نحوه مكملًا:

- كانت التضحيات كبيرة.

غمغم فؤاد في قلق:

- أي نوع من التضحيات.

أطلق حمدي ضحكة انفعالية وهو يقول:

- ليس ما يدور في ذهنك، فلسنا في فيلم رعب أمريكي.. كل ما في الأمر أنني  
اضطرت إلى بيع نصف الحديقة.

ثم غمز بعينه، مضيفًا:

- عمل كهذا يحتاج إلى نفقات باهظة.

قالها وهو يجذبه من يده في حماس إلى الكشكين المجاورين لسور الفيلا وهو يقول  
في سعادة عجيبة:

- انظر إليه.. ألا يبدو جميلًا؟!

تطلع فؤاد إلى الكشكين قبيحي المظهر، وهو يقول في حذر:

- بالفعل.

بدا حمدي أكثر حماسًا، وهو يقول:

- ذلك إلى اليمين هو الراسل، يدخل الشخص فيه ويغلقه في إحكام ويتم تشغيل  
الجهاز آليًا، ليفكك ذرات جسده وينقلها إلى المستقبل الموجود في اليسار.

نقل فؤاد بصره بين الكشكين قبل أن يسأله في قلق:

- وأين موضوع التجربة؟ من ستختبر عليه جهازك؟

ترجع حمدي خطوتين، وأشار إلى صدره وهو يجيب في زهو:  
- أنا.

اتسعت عينا فؤاد، قبل أن يقول في عصبية:

- أي حماقة هذه؟! لو تصوّرت أنني سأساعدك على هذا، فأنا...

قاطعته حمدي في انفعال:

- أنت هنا فقط لتكون شاهدا على التجربة؛ فكل شيء يعمل آليا فور إحكام إغلاق الباب.. كل شيء.

سأله فؤاد بنفس العصبية:

- هل أجريت أي تجارب سابقة قبل أن تجازف بتجربة الجهاز على نفسك؟!

هتف بكل حماس:

- بالطبع.

ثم هز كتفيه وهو عاجز عن السيطرة على انفعاله، وأكمل:

- كان هذا جزءا من التضحيات التي حدّثتك عنها؛ فأول ما أخضعتة للتجربة كان قطي الصغير ميرو.. هل تذكره؟

لم يجب فؤاد السؤال، وإنما سأله:

- وهل نجحت التجربة؟

مط حمدي شفّتيه وأجاب في أسف:

- بل كانت كارثة.

جف حلق فؤاد وهو يسأله:

- كيف؟ ماذا أصابه؟

أجابه بنفس الأسف:

- تلاشى.. لست أدري كيف، ولكنه اختفى من الرسائل ولم يصل أبدا إلى المستقبل..  
ربما تلاشت في الهواء أو...

لم يتم عبارته، فسأله فؤاد وقلقه يتصاعد:

- أو ماذا؟

أطلق ضحكة عصبية ولوح بيده في الهواء وهو يقول:

- المهم أن التجارب التالية كانت ناجحة.. ناجحة تماما.. انظر إلى المعادلات.

راح يضغط أزرار الكمبيوتر الملحق بالراسل، وعينا فؤاد تراجع تلك المعادلات الفيزيائية المعقدة في لهفة..

وفي تلك اللحظة بالذات كان عليه أن يعترف أن حمدي يفوقه ذكاء بكثير..

لقد كسر تقريبا ثلاث نظريات فيزيائية وأثبت نظريتين أخريين لكي يتوصل إلى المعادلات شديدة التعقيد للانتقال الآني..

وبكل الانفعال الذي صنعه به هذا، أشار إلى رقم صغير متسائلا:

- ما هذا بالضبط؟

ألقي حمدي نظرة لا مبالية على الرقم، وهو يجيب:

- كم مهمل.. مجرد كم مهمل، لا تأثير له على المعادلات الأصلية.

ثم عاوده الحماس وهو ينزع بعض ثيابه قائلا:

- المهم الآن هو أن تستعد؛ فستشاهد أول تجربة انتقال آني بشرية في التاريخ.

كان يستعد لدخول الراسل بالفعل بعد أن أعد كل شيء، عندما سأله فؤاد وقلبه يخفق في قوة:

- كيف تنتقل ذرات الجسد في الهواء دون أن تتبعثر؟

أطلق حمدي ضحكة حماسية وهو يقول:

- لا تضع الوقت يا صديقي، سأخبرك كل شيء عند عودتي.. واطمن.. هذا لن يستغرق سوى لحظات.

هم فؤاد بإلقاء سؤال قلق آخر، ثم لم يلبث أن أطبق شفثيه وراح يراقب في اهتمام وانتباه شديدين..

وبنفس الحماس دخل حمدي كشك الإرسال ولوّح له بيده وهو يبتسم في ثقة، ثم أغلق الباب وأحكم إغلاقه...

وارتجف جسد فؤاد في شدة عندما بدا له أن عدة صواعق كهربية قد انطلقت داخل كشك الإرسال، في حين بدأ جسد حمدي يتلاشى، حتى اختفى تماما وتوقفت الصواعق..

وبسرعة انتقل بصر فؤاد إلى كشك الاستقبال ونبض قلبه في عنف شديد..

ونبض..

ونبض..

ولم يظهر حمدي..

ثوانٍ مضت..

ثم دقائق طالت..

ولم يحدث شيء..

وبكل الهلع اندفع فؤاد نحو كشك الاستقبال وهو يهتف:

- حمدي.. أين أنت؟

لم يدرك ما إذا كان من الممكن أن يسمعه أو لا..

بل لم يدرك حتى أين يمكن أن يكون..

ولكنه ظل يصرخ باسمه بلا انقطاع..

وبعد مرور نصف الساعة دون أن يظهر حمدي، أصيب فؤاد بحالة من الذعر الشديد، وراح يدور حول الكشكين وكأنما يبحث عن أي أثر لصديقه الذي اختفى تماما..

إنه ذلك الكمّ المهمل الذي لم يضعه حمدي في اعتباره..

لا بد أنه يؤثر في عملية الانتقال الآني..

ولكن كيف؟

كيف؟

كان يميل بجسده كله وهو يلقي السؤال في أعماقه ليلقي نظرة على ذلك الفراغ الصغير الذي يفصل الكشكين عن الجدار، عندما اتسعت عيناه عن آخرهما وتراجع في عنف كالمصعوق وهو يصرخ:

- مستحيل!

فمن السور الحجري السميك خلف كشك الاستقبال كان يبرز جزء من ذيل كثيف الفراء..

وإلى جواره كانت تبرز نهاية يد خلت أصابعها من الحياة..

يد حمدي الذي نجح اختراعه تماما مع فارق ضئيل صنعه ذلك الكمّ المهمل البسيط..

لقد انتقل انتقالا أنيا بالفعل، بنفس الوسيلة التي انتقل بها قطه السابق ميرو..

انتقل من كشك الإرسال..

إلى قلب السور الحجري السميك.

☆ ☆ ☆ ☆

## قطرات الماء..

“إنت قتلتني“

قالتها سلوى وهي تقترب سابحة في الهواء من زوجها عامر، الذي التصق بجدار ذلك المنزل القديم صارخا:

- ابتعدي عني.

كانت صرخته تحمل ذلك الارتجاف الشديد الذي شمل جسده كله وهو يحدق في شبح زوجته، الذي واصل سباحته في الهواء نحوه، وهي تواصل دون أن تفتح شفيتها:

- خدعتي بنزهة رومانسية على نيل القاهرة، ثم ربطت ذلك الحجر الكبير في ساقي بعد أن هاجمتني وكبلت حركتي.

أخفى وجهه بذراعيه وهو يهتف في صراخ مرتجف أقرب إلى البكاء:

- إليك عني.. أتوسل إليك.

كانت تقترب أكثر وأكثر متابعة حديثها وكأنها لا تسمعه:

- توسلت إليك أن ترحمني.. رجوتك أن تتركني أحياء.. تضرعت إليك أن تبقي على حياتي من أجل ابنتي الوحيدة، ولكنك صممت أذنيك وحملتني قسرا وألقيت بي في النيل.

انهار على ركبتيه وهو يقول:

- الرحمة.. كنت أدافع عن نفسي.. أنت قلت: “إنك ستبلغين الشرطة، ولم يكن أمامي سوى...”

قاطعته وهي تدنو حتى صار وجهها الشبحي المائل إلى الزرقة في مواجهته مباشرة وهي تتمتم:

- امتلأ صدري بالماء ورحت أغرق.. وأغرق.. وأغرق..

صرخ وهو يضرب ذراعيه في الهواء:

- ابتعدي.

ثم استيقظ دفعة واحدة..

كان العرق يغمر جسده القوي على الرغم من برودة الطقس، وراح يلهث في شدة وهو يتأفت حوله في دعر، قبل أن يغلق عينيه مغمما في ارتجاف:

- ذلك الكابوس اللعين مرة أخرى.



هز رأسه في قوة وكأنما ينفض عنه ذلك الكابوس الذي يؤرق نومه، واعتدل يجلس على طرف الفراش ويواصل لهائه بعض الوقت قبل أن يغمغم بكل توتره:

- ألن يفارقني أبدا؟!

تأمل الأثاث الرث من حوله والجدران المتشقة التي بدت آثار الرطوبة فيها واضحة، ورفع عينيه إلى السقف الخشبي القديم قبل أن يضيف:

- لقد تركت كل شيء وعدت إلى حيث بدأت، فلماذا يطاردني الكابوس نفسه؟! لماذا؟!

نهض في تباطؤ يشعل ذلك الموقد القديم ويضع فوقه إناء من الألومنيوم وضع فيه بعض الماء، وتراجع يسترجع ذكرياته..

من هنا بدأ..

من هذا المنزل المتهاك الذي نشأ وترعرع فيه مع أبوين يجدان قوت يومهما بالكاد وبغذاب جعله يكره فقره منذ نعومة أظفاره ويسعى إلى الخلاص منه..

وبأي ثمن..

وفي الخامسة عشرة بدأ في تحقيق ما يصبو إليه واحترف سرقة الملابس التي يضعها أصحابها لتجف في منازل الطوابق السفلى، ثم سرعان ما انتقل إلى سرقة المنازل نفسها عندما يغيب عنها أصحابها، قبل أن يبدأ مع سن العشرين في احتراف مهنة أقل خطورة من وجهة نظره..

النصب والاحتيال..

استعان بالثياب الأنيقة التي سرقها من قبل ليمنح نفسه مظهرا لا يشف عن أصله، وراح يرتاد الأماكن الفاخرة مع رصيد سرقاته المنزلية ويتعامل على النحو الذي يبعث في نفسك الثقة، شأن أي نصاب محترف..

وفي الخامسة والعشرين استحق عن جدارة لقب "نصاب محترف"، بعد أن نجح في الاحتيال على مواطنين عاديين، والاستيلاء على مدخرات عمرهم ثم على رجال أعمال صغار، ليصعد إلى مرتبة النصب على رجال أعمال كبار نسبيا، و...

وهنا التقى بزوجته سلوى..

منذ اللحظة الأولى أدرك أنها صيد ثمين للغاية، فهي أقل من متوسطة في مستوى الجمال، تميل إلى البدانة، وأرملة لواحد من كبار المقاولين، ولديها منه ابنة واحدة في السادسة من عمرها..

في البداية وضع خطة للاحتيال عليها وإيهامها بأنه رجل أعمال جديد في محاولة للاستيلاء على مبلغ ذي ستة أصفار منها..

ولكن سلوى لم تكن بالصيد السهل..

كانت سيدة أعمال ذكية متمرسة وليست من النوع الذي يسهل الإيقاع به..

ولكنه كأبي نصاب لا يستسلم في سهولة، ثم أنه يتمتع بوسامة طبيعية تؤهله لتحويل دفة العملية إلى جانب آخر..

وهكذا بدأ الاحتيال عليها على نحو بطيء، بحيث أوهمها بأنه واقع في غرامها، وأوحى إليها بأنه عاجز عن مفاتحتها في هذا..

وخلال عام كامل من الصبر أدى دوره على خير ما يرام..

زهور تصلها في عيد مولدها..

صورتها تسقط من جيبه أمامها بمصادفة ملفقة، ويستعيدها في سرعة متصنعا الخجل بعد أن يثق تماما في أنها قد لمحتها..

كلمات حانية رقيقة كلما التقيا..

ثم أخيرا بعد أن أيقن من أنها قد التقت الطعم، توجه إليها وكله خجل وحياء يطلب منها قبول دعوته إلى عشاء متواضع..

كانت تلك هي المرة الأولى التي لمس فيها يدها ثم تراجع كمن صعقه تيار كهربى، وراح يلهث بالاعتذار والأسف..

وابتسمت هي..

ابتسامتها جعلته يشعر بالظفر والانتصار..

وبعد شهر واحد تم زفافهما..

وخلال عام كامل بدا لها مثالا للزوج الحنون، يعاملها بكل رقة ويفاجأها بهداياها كل حين وآخر في مناسبات خاصة أو حتى دون مناسبات، ويداعب ابنتها الوحيدة ويلعبها طوال الوقت، حتى شعرت سلوى بأن القدر قد أنعم عليها بالزوج الذي تحلم به كل امرأة..

حتى كان ذلك اليوم الذي كشفت فيه أمره..

كان يستغل ثقتها الشديدة ويستولي على كل ما يقع تحت يديه من أموالها ومن قطع مجوهراتها، ثم يكون أول من يقف إلى جوارها، ويصر على إبلاغ الشرطة واتهام سفرجي أو خادمة..

ولكن حياته السابقة لم تكن لتتركه يواصل لعبته القذرة..

ذات يوم اصطدم بأحد عملاء شركتها ممن كانت له معه قصة احتيال سابقة..

ومنه عرفت سلوى حقيقته لأول مرة..

في البداية لم تصدق، ثم بدأت في ترتيب الأحداث والوقائع، وبعدها واجهته وطالبته بإعادة كل ما سرقه منها، وإلا أبلغت الشرطة بأمره..

ولأنه محتال محترف نجح في تهدئتها وطلب منها أن يخرجها في نزهة رومانسية أخيرة تذكرهما بشهر عسلهما، وبعدها سيعيد إليها كل شيء ويختفي من حياتها

تماما..

ولكنه لم يف بوعده ولم يختف من حياتها..

هي التي اختفت من حياته..

وإلى الأبد..

قتلها بدم بارد وعاد وحده إلى منزل الزوجية، واستولى على كل ما استطاع الوصول إليه من الأموال والمجوهرات قبل أن يختفي تماما..

كان يعلم أنه أول من ستتجه إليه أصابع الاتهام وأن الشرطة ستبحث عنه حتما، ولكنه كان بلا سوابق، وكل الأوراق التي استخدمها للزواج منها كانت مزورة، والشرطة لن تعثر على الزوج القاتل أبدا..

ثم من سيبحث عنه هنا في تلك المنطقة العشوائية الفقيرة التي نشأ وتربى فيها؟!!

من؟!!

صب الماء بعد غليانه على قليل من الشاي وتناوله على مهل، وألقى نظرة على ساعته التي أشارت عقاربها إلى الثالثة صباحا، وتطلع لحظات إلى فراشه ثم قرر العودة إلى النوم من جديد..

“أنت قتلتني“.

في هذه المرة كانت سلوى تقترب منه سابحة في الهواء والماء يقطر من شعرها القصير.. تراجع وهو يهتف:

- اتركيني لحالي.. ماذا تريد مني؟!!

بدا له وكأنه يسمع صوت الرعد من بعيد وصوت المطر ينهمر ويغمر شعرها القصير المتلبد وهي تزداد قربا قائلة:

- الجزاء دوما من جنس العمل.

صرخ:

- أنت أجبرتني.. لو لم تهددي بإبلاغ الشرطة لصار كل شيء على ما يرام لكينا.

تقاطر الماء من شعرها أكثر وأكثر وجسدها الشبهي يسبح في الهواء مقتربا منه مكررا:

- سألتك أن ترحمني فلم تفعل.. أنت قاتل.. قاتل..

ضرب ذراعيه في الهواء وهو يصرخ:

- وأنت لست هنا.. أنت مجرد شبح.

اقترب شبحها منه أكثر وأكثر، فحرق في وجهها الأزرق في رعب وبدا له وكأن الماء قد صار يسيل من رأسها في غزارة وهي تكرر:

- الجزاء لا بد أن يكون من جنس العمل..

كان وجهها الذي يزداد زرقة يبدو مخيفا إلى حد جعله يرتجف من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه، وتمنى أن يخرج من هذا الكابوس الرهيب ففتح فمه ليقول شيئا..

أي شيء..

ولكن حرفا واحدا لم يخرج من بين شفتيه..

وكما يحدث في الكوابيس، خيل إليه أن جسده كله قد تخشب ولم يعد يستطيع تحريك إصبع واحد منه..

حتى فمه الذي انفتح لم يستطع إغلاقه مرة أخرى..

واقترب شبحها منه أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

وبصوت بدا وكأنه يخرج من أعماق قبر قديم، قالت:

- أغرقتني وعليك أن تدفع الثمن..

أصبح وجهها الآن فوقه مباشرة، وعيناه تحدقان في عينيها اللتين بدتا كجمرتين من لهب وسط وجه شديد الزرقة..

وسال الماء غزيرا من شعرها على وجهه..

شعر به يغمره..

ثم شعر به يتساقط عبر فمه المفتوح..

ويملاً حلقه..

حاول أن يسعل..

أو حتى يغلق فمه..

ولكنه لم يستطع..

والماء يسيل في حلقه..

ويسيل..

ويسيل..

“هذه أول حالة أراها في حياتي“.

غمغم طبيب الصحة بالعبارة بكل دهشته، وهو يرفع عينيه إلى السقف المبتل، الذي مازالت بقايا أمطار الأمس تتساقط منه، قبل أن يضيف:

- لم أر في حياتي من قبل شخصا يموت غرقا في فراشه.. الماء تساقط من السقف في حلقة مباشرة.

التفت ثلاثة من رجال تلك المنطقة العشوائية حول فراش عامر الذي حمل جثته مفتوحة العينين عن آخرهما وفمه الذي يسيل منه ماء المطر وغمغم أحدهم في خشوع:

- هكذا عثرنا عليه.

واقفه الطبيب بإيماءة من رأسه، وهو يقول:

- هذا يبدو واضحا، لكنني ما زلت أتساءل: كيف بقي في هذا الوضع والماء يملأ فمه؟!

في الحالات الطبيعية، يسعل المرء، ويدير رأسه بعيدا عن الماء المتساقط.. أو حتى يستيقظ، ولكنه بقي على موضعه حتى مات غرقا.

وهز رأسه في قوة وهو يضيف مخرجا قلمه لتوقيع شهادة الوفاة:

- أظن أن هذا سيبقى لغزا.. لغز بلا حل.. على الإطلاق.

ووقع شهادة الوفاة.

☆ ☆ ☆ ☆

# ذاكرتي..

من أنا؟!!

كان هذا أول سؤال طرحته على نفسي، عندما استعدت وعيي، في تلك المنطقة المقفرة، مع مغيب الشمس..

أول ما رأيته عينايا، عندما فتحتهما، هو قرص الشمس الأحمر، وهو يتوارى خلف الجبال في الأفق..

كانت هناك الكثير من الجبال من حولي، كما لو أنني وسط منطقة جبيلة، في صعيد مصر! أو ربما في سيناء!

لم أكن أدري..

كنت أجهل تماما ما الذي أتى بي إلى هذا المكان!

ولماذا؟!!

بل كنت أجهل حتى من أنا!

كنت أشعر بصداع شديد يكتنف رأسي، وألم في مؤخرة عنقي، كما لو أنني قد تلقيت ضربة ما، في وقت ما..

وربما كان هذا ما أفقدني وعيي..

وذاكرتي..

توقفت في مكاني، لا أدري أين أذهب بالضبط، فقد بدا كل ما يحيط بي متشابها، حتى لا يمكنني تحديد إلى أي اتجاه ينبغي أن أسير..

ولم أكن أستطيع البقاء في مكاني في الوقت ذاته، لذا فقد أخذت الاتجاه، الذي لا ترتطم عيني في نهايته بجبل ما، ومضيت قدما إليه..

وبينما أسير بلا هدى، رحت أعتصر عقلي، محاولا إنعاش ذاكرتي..

ماذا تريدون مني؟!!

تذكرت صرختي المذعورة، وعربدت في رأسي ذكرى رجال يهاجمونني، فور هبوطي من سيارتي أمام منزلي.. أذكره جيدا..

إنها فيلا صغيرة، في حي شديد الهدوء، من أحياء المعادي..

عظيم.. هذا يعني أن ذاكرتي في طريقها إلى العودة..

كان الظلام يطبق في سرعة، تساعد في هذا الجبال العالية، في غرب الطريق، الذي أسير فيه، مما جعل الخوف يتسرب إلى نفسي، من أن أفقد القدرة على الرؤية،

فلا يعود لسيري من هدف..

ولكن القمر بدأ يبرز في السماء..

ومن حسن حظي أنه كان بدرا، مما جعل ضوءه الفضي ينيّر الطريق أمامي،  
ويزيل مني بعض الخوف، وإن أضافت تلك الظلال الضخمة التي تلقيها الجبال،  
جانبا آخر إلى مخاوفي، مما جعلني أرفع عينيّ إلى القمر المضيء، الذي بدا لي  
أشبه بمصباح كبير مضاء، و..

ماذا تفعلون بي؟!!

استعاد عقلي فجأة، تلك الصرخة المذعورة التي أطلقتها، وأنا أهدق في دائرة  
الضوء الكبيرة، فوق رأسي مباشرة، وهم يقيدوني إلى مائدة تشبه موائد الجراحة..

بل كانت بالفعل مائدة جراحية..

وهم يلتفون حولي، بتلك الثياب الخضراء، التي يرتديها الجراحون في المعتاد،  
والقفازات المطاطية تغطي أيديهم، والكامات الطبية تخفي وجوههم..

لا تقلق.. إنها مجرد تجربة علمية..

قالها أحدهم، فصرخت -حسبما أذكر- بكل التوتر والذعر:

- ومن أخبركم أنني فأر تجارب؟!!

أذكر جيدا ألم تلك الإبرة، التي انغرست في ذراعي، مع ذلك الصوت، الذي بدا  
وكأنه يأتي من أعماق سحيقة:

- اهدأ، وسيكون كل شيء على ما يرام.

ثم بدأت ذاكرتي تتسحب..

وتتسحب..

وتتسحب..

من أنا؟!!

عدت أطرح السؤال على نفسي، التي امتزج فيها الخوف بالتوتر الشديد، مع  
استعادتي لتلك الذكريات، التي لا تدعو أبدا إلى الارتياح..

ما تلك التجربة، التي كانوا يتحدثون عنها؟!!

ولماذا يجرونها علي؟!!

ولأي هدف؟!!

“ما تقوله أشبه بالخيال العلمي، يا دكتور حسني“..

استعدت فجأة تلك الذكرى، التي لا ترتبط بما استعدته من قبل..

“لا يوجد مستحيل في العلم يا دكتور مندور”..

كنت استعيد حوارا بين رجلين، ربما سمعتهما يتبادلانه..

أو أنني كنت أحدهما..

لست أدري!

- الاستتساخ لم يعد خيالاً، بل أصبح حقيقة واقعة..

- وما زال استخدامه على البشر غير قانوني، في كل دول العالم..

- هذا عندما يرتبط بالأسلوب التقليدي، الذي يتم فيه محو الكروموسومات تماما من البويضة، وزرع خلية غير جنسية فيها، ثم إعادة زرعها في رحم آدمي، ليتواصل نموها كأبي جنين طبيعي..

- هذا ما تحتمه قواعد الطبيعة، أما الفكرة التي تتحدث عنها، فهي علميا مستحيلة..

- كل علم تحقق عبر التاريخ، أكدوا يوما أنه مستحيل..

عند هذه النقطة، غابت عني الذاكرة مرة أخرى..

ولكنني أذكر هذا الحوار جيدا..

وبكل تفاصيله..

وجسدي بدأ يشعر بالإرهاق، من طول السير وشدة التوتر والخوف..

من أنا؟!!

مرة الثالثة طرحت على نفسي السؤال..

أنا أحد طرفي ذلك الحوار، الذي استعادته ذاكرتي، أم أنني كنت...

توقف السؤال في رأسي فجأة، وقفز اسم جديد إلى ذاكرتي..

مصطفى.. المساعد الطبي في معمل الأبحاث..

لم تكن هناك مرآة، يمكنني فيها رؤية ملامحي، مما قد يساعدني على استعادة ذاكرتي، وتحديد هويتي..

أنا مصطفى، المساعد الطبي، الذي أجروا عليه تلك التجربة؟!!

وما تلك التجربة بالضبط؟!!

أهو أمر خاص بعلم الاستتساخ؟!!

ولكن ما شأنني أنا بهذا؟!!

بل من أنا من الأساس؟!!

“ستفقد ذاكرتك بعض الوقت”..



رباه! تذكرت على التو تلك العبارة..

“ستبدو لك الأمور مشوشة، وسيرتبك عقلك تماما، لأنه لم يمر بما ينبغي أن يمر به، ولكن لا تقلق“..

أذكر العبارة، ولا أذكر مطلقا قائلها..

ولا لماذا قيلت..

ومتى..

توقفت فجأة، وخفق قلبي في قوة، وأنا أهدق في نقطة ما، على مرمى البصر..

بقعة ضوء صغيرة..

مصدر ضوئي يتحرك، على مسافة لا يمكنني تقديرها بالضبط..

ولكنه يحمل لمحة الأمل، التي كنت في أمس الحاجة إليها..

ولست أدري ما إذا كنت واهما، أم أنها بالفعل حقيقة..

ذلك المصدر الضوئي توقف..

إنها سيارة ولا شك..

هذا يعني أنني بالقرب من طريق رسمي..

أو أن أحدهم يبحث عني..

وفي كل الأحوال، فقد سارعت الخطى، حتى يمكنني الوصول إلى ذلك المصدر

الضوئي، قبل أن يبتعد..

- لو صحت تجربتك، لن تكفي جائزة نوبل لتقدير عملك..

- أو ربما لن تكفي عقوبة الإعدام، لتجاوزي كل القوانين الطبية العالمية..

- لا يمكن أن يعاقبوا عالما فذا، على كشف مذهب كهذا..

- الخلاف بين العلم والقانون، خلاف تاريخي يا زميلي العزيز..

- ولكن تجربتك هذه مذهلة.. مذهلة بحق..

مرة أخرى، أستعيد الذكريات الخاصة بتلك التجربة، التي أجهل ماهيتها، وهذا ربما

يعني أنها ترتبط بي، على نحو أو آخر..

زدت من سرعة خطواتي، محاولا بلوغ بقعة الضوء، قبل أن تفارق مكانها،

وشعرت بقليل من الارتياح، عندما أدركت أنني أقترُب منها..

وأنها ثابتة في موقعها..

بدأت ساقاي تتعبان بالتعب والضعف، وأصبحت سيطرتي على اتزانتي تحتاج إلى

بذل جهد خرافي، وعيناوي ترهقهما الرؤية إلى حد كبير، إلا أنني استنفدت كل

إرادتي، للوصول إلى بقعة الضوء، التي راحت تقترب..

وتقترب..

وتقترب..

وفجأة، قفزت إلى ذهني فكرة، جعلتني أتوقف دفعة واحدة، وأنا ألهث، من فرط الانفعال والإرهاق، وحدثت في تلك البقعة المضيئة جيدا..

لقد كنت على حق..

لست وحدي من أسعى إليها..

هي أيضا تتجه نحوي مباشرة..

وبسرعة تفوق سرعتي..

ومع اقترابها، اتضحت معالمها أكثر..

لم تكن بقعة ضوء واحدة، بل بقعتين، تسيران معا، وتفصلهما مسافة قصيرة..

إنهما مصباحا سيارة تقترب..

خفق قلبي في قوة، وأنا أتابع اقترابها، ورحت ألهث أكثر، مع تصاعد انفعالي الشديد..

هناك شخص ما يبحث عني بالفعل..

ويعلم أين أنا..

و..

من أنا؟!!

يا إلهي! أذكر جيدا أنني قد طرحته السؤال، على أولئك الرجال، في حجرة العمليات، التي لست أدري لماذا وضعوني فيها!

والعجيب أنني لست أذكر جوابهم مطلقا!

أو أنني لم أتلق منهم أي إجابة..

إذن فأنا لا أعاني من فقدان الذاكرة، منذ استعدت وعيي فحسب..

لقد فقدتها من قبل هذا!

فقدتها، عندما كنت هناك..

على مائدة العمليات الجراحية..

فجأة، وعند هذه النقطة، انتابني فزع بلا حدود..

إنهم يبحثون عني، ربما لأنني هارب من شيء ما..

أو لأنني مصاب بشيء ما..

وربما بجنون ما..

تلك الفكرة الأخيرة، قضت على ما تبقى من جهدي، فجلست القرفصاء، ودفنت وجهي بين كفي، ورحت أنتحب بلا دموع..

ثم غمر ذلك الضوء الساطع وجهي، فرفعت كفي عنه، وحدقت في تلك السيارة، التي توقفت على قيد أمتار مني، وفتحت أبوابها، وهبط منها ثلاثة رجال في البداية لم أتبيّن ملامحهم جيدا، حتى اقتربوا مني، وقال أحدهم في ارتياح:

- إذن فقد استعدت ذاكرتك.

حدّقت في ثلاثتهم، وذاكرتي تنتعش فجأة..

إنني أعرفهم جيدا.. المساعد الطبي مصطفى، والدكتور مندور، والدكتور حسني،  
و...

ولكن هذا مستحيل!

لا يمكن أن يكون الثالث هو الدكتور حسني!

لأنني أنا الدكتور حسني..

صرخت محاولا النهوض:

- من أنت؟!

اقترب مني ثلاثتهم، ومال ذلك الذي ينتحل شخصيتي نحوي، وهو يقول مشفقا:

- أنا الدكتور حسني.. أنا أصلك.

أصلي؟! انتفضت كل ذرة في كياني مع سماع إجابته، خصوصا أنني قد استعدت ذاكرتي كاملة دفعة واحدة..

ليست ذاكرة الخلايا الأولية، التي تعود إلى الدكتور حسني، الذي صنعوني كنسخة منه، ولكن ذاكرتي أنا، بعد شعوري بالوعي، عندما اكتمل تكويني المعلمي..

أسلوب النمو الفائق، الذي استخدموه لإنعاش خلايا حسني، واستنساخي كنسخة ناضجة، طبق الأصل منه، في زمن قصير، جعلني أنهض متصورا أنني هو، حتى أنني ارتديت بعض ملابسه، التي يتركها احتياطيا في المعمل، وأخذت مفاتيح سيارته، وقدت السيارة إلى منزله..

ولكنهم أطبقوا عليّ هناك، وأعادوني إلى المعمل، وأجروا لي جراحة صغيرة، لست أدري سببها بالضبط..

وعندما أفقت، هربت مرة أخرى، و..

فقدت الذاكرة..

“خلاياك تنهار”..

قالها أصلي في أسي، وهو يتطلع إليّ مشفقاً، قبل أن يضيف في ألم:  
- يبدو أن الطبيعة ترفض ما فعله، وليس القانون وحده.. صحيح أنك نسخة طبق  
الأصل مني، ولكن تأثير النمو الفائق مؤقت مع الأسف.. خلاياك ستتهار كلها، حتى  
يزوب جسدك، كما لو كان قطعة من الثلج تركت في طقس ساخن..

أدركت عندئذ لماذا عجزت عن النهوض..

لقد بدأ جسدي يزوب بالفعل..

ولم تعد هناك فائدة من استعادة ذكرياتي..

أو حتى ذكريات الدكتور حسني..

فذاكرتي مثل جسدي..

ستذوب..

بدأت الرؤيا تشوّش أمامي، إلا أنها لم تمنعني من رؤية الرجال الثلاثة، وهم  
ينتظعون إلي بكل الأسف والألم والندم، وأنا أدوب أمامهم، تماماً كما وصف  
الدكتور حسني الأصلي الأمر..

كقطعة ثلج في طقس دافئ..

وآخر ما حملته ذاكرتي، هو صوت الدكتور حسني، وهو يغمغم:

- أنا آسف.. اغفر لي.

ثم ذاب كل شيء..

تماماً.

☆ ☆ ☆ ☆

# براءة الأطفال في عينيه..

“يا لها من مدينة صغيرة!”..

غمغم وحيد بالعبرة في ضجر، وهو يجوب شوارع تلك المدينة الصغيرة، من مدن صعيد مصر..

كان قد انتدب إلى هناك، في مهمة تفتيش محدودة، المفترض أن تستغرق أسبوعاً واحداً، ولولا بدل الانتقال الكبير، الذي منحه إياه الشركة، مقابل هذا، لما دفع نفسه دفعا إلى السفر، إلى تلك المدينة الصغيرة من مدن صعيد مصر، في منتصف شهر يوليو، حيث تبلغ حرارة الطقس مداها..

وأول ما فعله عندما وصل إلى تلك المدينة، هو أن بحث عن مكان مناسب، يمكنه قضاء هذه الأيام السبعة فيه..

ولأنها مدينة صغيرة، لم يجد بها سوى فندقين فحسب..

أحد الفندقين كان أشبه بالبنسيونات القديمة، تشم فور دخوله رائحة الزمن، ويزعجك ضوءه الخافت، وتثير حفيظتك أبسطه القديمة، وأثائه الذي يعود إلى عشرين عاماً على الأقل..

أما الفندق الآخر، فقد بدا أكثر حداثة، وأكثر نظافة، والإضاءة فيه ساطعة مريحة.. الذي أدهشه بحق، هو أن سعر الإقامة في الفندقين كانت متقاربة للغاية، حتى أنه أبدى دهشته هذه، لموظف الفندق الأفضل، فتردد الرجل لحظة، ثم أجابه بابتسامة عريضة، بدا من الواضح أنه يخفي بها شيئاً ما:

- كل سائح له ما يفضله.

لم يشعر أبداً أنها مدينة سياحية، تستحق مثل هذا القول، إلا أنه افترض أن بعض السائحين ربما يقضون ليلتهم في تلك البلدة، ثم يستقلون إحدى سيارات الأجرة، إلى المدينة السياحية الكبيرة، التي تبعد عنها نصف الساعة فحسب، توفيراً للنفقات..

ودون أن يطرح مزيداً من الأسئلة، استأجر حجرة في الفندق الأحدث..

ولقد أدهشه كم تحوي حجراته من وسائل الترفيه، على الرغم من رخص إيجارها.. كانت حجرة كبيرة، تطل على الساحة الرئيسية للمدينة، بها سرير عريض، ودولاب كبير، وتلفاز ممتاز، وجهاز تكييف هواء..

هز كتفيه، وهو يغتسل، ويستبدل ثياب السفر، ثم خرج ليؤدي عمله، في التفتيش الروتيني، على فرع شركته هناك.

قضى نصف اليوم في أعمال روتينية معتادة، ثم بدأ يللم أوراقه في حقيبته الجلدية القديمة، التي يعتز بها كثيراً، وبينما يستعد للانصراف، سأله سكرتير فرع الشركة

مبتسما:

- إن لم يكن لديك مكان للإقامة، فسيسعدني استضافتك في منزلي.

شكره في شيء من الصرامة، وهو يقول:

- لقد استاجرت حجرة في فندق (...).

فوجئ بوجه السكرتير يمتع لحظة، قبل أن يسأله في تردد:

- ولماذا هذا الفندق بالذات؟!

أجابه بنفس الصرامة، التي بدت وكأنها أسلوبه المعتاد في الحديث:

- ليست أمامي خيارات كثيرة.. إما هو، وإما الفندق الآخر القديم، المطل على السوق.

تردد السكرتير لحظة، ثم قال في حذر:

- الخيار الثالث أن أستضيفك في منزلي.

كان يكره أن يتعامل بهذا الود، مع موظفي مكتب أتى للتفتيش عليهم، فقال في صرامة شديدة، وهو يحمل حقيبتة وينصرف:

- كلا.. الفندق أفضل.

كان الطقس قد اعتدل مع نهاية النهار، فقرر أن يتجول قليلا في المدينة، وكم أدهشه أنها مدينة صغيرة للغاية، أمكنه أن يقطع كل شوارعها تقريبا، خلال ساعتين فحسب، قبل أن يصيبه الملل، ويقرر العودة إلى الفندق، والحصول على قدر وافٍ من النوم..

وعندما وصل إلى الفندق، وطلب مفتاح حجرته، ناوله إياه موظف الاستقبال نفسه، والذي لم يمه نوبته بعد لسبب ما، وهو يتطلع إليه في قلق حذر..

تجاهل كل هذا، وافترض أن الجميع في بلدة صغيرة كهذه، يعرفون بعضهم بعضا حتما، ووجود شخص غريب بينهم، سيثير تساؤلاتهم وقلقهم بالتأكيد..

وفي حجرته، ألقى حقيبتة الجلدية على مقعد مجاور للباب، وألقى ثيابه على مقعد آخر، واغتسل مرة ثانية، ثم رقد على فراشه، يشاهد برامج التلفاز بعض الوقت، قبل أن يغلبه النوم، و..

“عمو.. هل تلعب معنا؟”..

أطفال صغار أبرياء، يحيطون به، وعلى وجوههم ابتسامات كبيرة، وبين يدي أحدهم كرة صغيرة، يتناسب حجمها مع ضالة جسده، يلوح له بها، داخل حديقة واسعة غناء..

“لم أعب الكرة منذ زمن طويل”..

أجاب الطفل مبتسما، فمنحه الطفل ابتسامة تقيض بالبراءة، وهو يقول:  
- "هل يز عحك أن نلعب إذن؟!".

شعر براحة شديدة، مع ابتسامة الطفل، فلوح بيده، قائلا:  
- على العكس.. سنتسعدني مشاهدتكم، وأنتم تلعبون وتمرحون..  
"شكرا يا عمو".

قالها الصغير، وهو يعدو نحو رفاقه الصغار، الذين راحوا يتبادلون الكرة، ويمرحون، ويلعبون، وارتفعت ضحكاتهم البريئة في المكان، وكان لها صدى جميل في أذنيه، وصدى أجمل في قلبه، و..  
"حقيبتك يا عمو".

التفت إلى ذلك الطفل، الواقف إلى جواره، يناوله حقيبته الجلدية القديمة..  
وانتفض قلبه بين ضلوعه في قوة..

فالطفل كان يحمل الحقيبة، ويمد يديه الصغيرتين بها إليه، وهو يبتسم ابتسامة كلها براءة، فيما عدا أنه كان.. يحترق..

نعم.. كانت النيران تشتعل في ثيابه، وتلتهم جسده الصغير، وإن لم يبد عليه أدنى أثر للألم، و..

وانتفض جسده كله، وهو يهبّ من نومه، صارخا:

- لا.. لا.. النار.

انتبه فجأة إلى أنه نائم في فراشه، وأن كل هذا لم يكن سوى كابوس، فبسمل وحوقل، ومد يده ليلتقط كوب ماء من جواره، و..

وارتطمت يده بشيء ما، أسقطه الارتطام أرضا بصوت مسموع..

أسرع يشعل المصباح الصغير، المجاور للفراش، وانحنى يلقي نظرة على ذلك الشيء الذي أسقطه، واتسعت عيناه عن آخرهما..

لقد كان ذلك الشيء حقيبته..

حقيبته الجلدية القديمة، التي يعتز بها كثيرا..

ولثوانٍ، ظل يحرق فيها ذاهلا..

ما الذي أتى بها على فراشه؟!!

إنه يذكر جيدا، أنه ألقاها على أقرب مقعد للباب فور دخوله!

ليس لديه أدنى شك في هذا!

حاول أن يجد تفسيراً للموقف، إلا أن الحقيقة التي يراها ملقاة على الأرض أمامه، منعت عقله من إيجاد أي تفسير..

ترى هل سار وهو نائم، وأحضرها إلى فراشه، دون أن يدري؟! هل؟!!

كانت ساقاه ترتجفان، عندما هبط من فراشه، والنقط الحقيقية، وأعادها إلى المقعد المجاور للباب، ثم ألقى نظرة على ساعته، التي أشارت عقاربها إلى الثانية والنصف صباحاً، وغمغم في عصبية:

- ماذا أصابك؟! إنه كابوس.. مجرد كابوس.

عاود الاستلقاء على الفراش، وتناول جرعة ماء، ثم أغلق عينيه، محاولاً العودة إلى النوم..

“عمو.. هل تلعب معنا؟!..”

نفس الطفل الصغير، يبتسم في براءة، ويمد يده إليه بالكرة الصغيرة، ولكنه في هذه المرة، غمغم في اقتضاب:

- كلا..

ظل الطفل يبتسم في براءة، وهو يسأله:

- وهل يزجرك أن نلعب؟

صاح فيه في حدة:

- العبوا كما تريدون، لا شأن لكم بي.

تلاشت ابتسامة الطفل، وانقلبت ملامحه إلى حزن شديد، وترك باقي الأطفال لعبهم، وتراصوا خلفه..

ثم بدأ الكل في البكاء، في آن واحد..

وتراجع هو في رعب..

فالدموع المنهمرة من أعينهم، لم تكن دموعاً..

كانت قطعاً صغيرة من اللهب، تتساقط من أعينهم الواسعة البريئة، لتتشعل الأرض من حولهم.. وراحت رقعة النيران تتسع من حولهم..

وتتسع..

وتتسع..

ومرة أخرى، انتفض جسده في عنف، واستيقظ بحركة حادة..

ومرة أخرى، لدهشته وذعره، ارتطم بحقيبته القديمة..



وفي هذه المرة، صرخ:

- لا.. مستحيل!

أخذ جسده يرتجف في شدة، وهو يحرق في الحقيبة، الملقاة إلى جوار فراشه، قبل أن يغمغم مرتجفا:

- أسير نائما حتما.. لا ريب أن هذا ما حدث.

كان جسده كله يرتجف، من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، وهو يحمل الحقيبة، ويعيدها إلى المقعد المجاور للباب، وهو يغمغم:

- الإرهاق.. هو الإرهاق حتما.. سمعت أن الإنسان يسير أثناء نومه، عندما يصبح فريسة للإرهاق الشديد.

كانت عقارب ساعته تشير إلى الثالثة والنصف، أي أنه لم يستغرق في نومه الثاني سوى ساعة واحدة، فوضع جسده على الفراش، وهو يواصل غمغمته:

- الكوابيس لا تتتاب المرء، إلا عندما يكون مرهقا، أو يتناول وجبة دسمة قبل النوم.. ولو أنني حصرت أفكارى في شيء جميل، لن تهاجمني الكوابيس مرة أخرى حتما.

راح يعتصر عقله، محاولا استرجاع كل حدث جميل مفرح، مر به في حياته، ولكن هذا الجهد أرهاقه بشدة، فأسبل جفنيه، بعد أن تجاوزت عقارب الساعة الرابعة، و.. نام..

“عمو.. هل تلعب معنا؟”..

لم يصدق نفسه هذه المرة..

إنه الطفل الصغير ذاته، يمد إليه يده بكرته الملونة، التي تتناسب مع ضالته، وبيتسم نفس تلك الابتسامة البريئة..

“أذهب عني.. لا أريد أن أراك”..

تراجع الطفل في ذعر غاضب، وفوجئ هو بأن كل الأطفال قد التقوا حوله، وكلهم يقولون في آن واحد، وبأسلوب حمل كل براءتهم:

- أنت سيئ يا عمو.. مثل كل من سبقوك.

ثم فجأة، اشتعلت أجسادهم كلها دفعة واحدة..

وهب هو من فراشه مذعورا..

في هذه المرة، اختلف الأمر..

لم يرتطم بحقيبته القديمة، التي ظلت مستقرة على ذلك المقعد، المجاور للباب..

وفي حركة واحدة، اعتدل يجلس على طرف فراشه، وهو يبسمل ويحوقل مرة أخرى، ولهث بشدة، وهو يغمغم:

- ما الذي يحدث هنا؟! ما الذي يحدث في هذه الحجرة؟!!

لم يكن حتى قد انتهى من كلمته الأخيرة، عندما تدرج ذلك الجسم الصغير، من أسفل الفراش، وعبر بين قدميه مباشرة..

وبكل رعب الدنيا، اتسعت عيناه..

لقد كان كرة..

نفس الكرة الملونة الصغيرة، التي يمد الطفل يديه بها إليه، في كل مرة..

حدق فيها في ذهول، مغمغما:

- أما زلت نائما؟! أهذا جزء من كابوسي؟!!

كان كيانه كله يرتجف، عندما انحنى يلمس الكرة، ثم يرتد بكل عنف الدنيا..

إنها كرة حقيقية..

ولقد شعر بلمسها الجلدي الرقيق..

إنها حقيقة..

وهذا مستحيل!

مع ذهوله ورعبه، تناهى إلى مسامعه صوت ضحكات طفولية بريئة، أسفل فراشه..

وعلى الرغم من الرعب، الذي سيطر على كيانه كله، مال يلقي نظرة أسفل الفراش، قبل أن يرتد بمنتهى العنف، على النحو الذي أسقطه أرضا..

فأسفل فراشه مباشرة، كانت تلك الحديقة الغناء الواسعة، والأطفال يلعبون ويمرحون فيها..

وفي هدوء، اقترب منه ذلك الطفل المشتعل، وهو يبتسم ابتسامته البريئة، ويمد يديه الصغيرتين إليه، قائلاً:

- الكرة لو سمحت يا عمو..

وهنا أطلق هو صرخة رعب مدوية، وقفز واقفا على قدميه، واندفع يعدو نحو باب الحجرة يفتحه، ويعدو في ممر الفندق، وهو يصرخ..

ويصرخ..

ويصرخ..

“لا بد من إغلاق هذا الفندق”..

قالها مدير شرطة السياحة في صرامة، فأجابه صاحب الفندق مرتجفا:

- لقد كلفنا ثروة.

أجابته مدير شرطة السياحة في غضب:

- ولكنها سابع حالة انهيار عصبي، يصاب بها نزيرل في فندقك، بعد أول ليلة يقضيها فيه، وسرعان ما ستتهار سمعة الفندق، ولن يستأجر أحد حجرة واحدة فيه.

غمغم صاحب الفندق:

- ولكن..

قاطعه مدير شرطة السياحة بكل توتره:

- كان من الخطأ أن تبني فندقك، في موضع ملجأ الأيتام، الذي احترق عن آخره منذ عامين.. من الخطأ تماماً.

في هذه المرة، لم يجب صاحب الفندق..

أبداً.

☆ ☆ ☆ ☆

# البيت الجديد..

ألف مبروك البيت الجديد..

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتي سمسار المنطقة، وهو يفتح باب ذلك المنزل، في الطابق العاشر من البناية الجديدة، المظلة على بحر (الإسكندرية) الساحر، ويشير بيده إلى (عدلي) وزوجته (البنى)، مستطرداً:

- إنه صفقة العمر، بالنسبة لزوجين جديدين مثلكما.

تناول منه (عدلي) المفتاح، ونقده سمسارته المتفق عليها، وهو يبتسم في سعادة:

- إنه صفقة رائعة بحق.. ومن حسن حظنا أن فزنا بها.

بدت (البنى) مبهورة بالأثاث، الذي يتناسب مع ذوقها، وهي تقول في سعادة:

- لم نصدق أنفسنا في الواقع، عندما قرأنا الإعلان.. منزل كامل التأثيث، بسعر شقة عادية!! ويطل مباشرة على البحر أيضاً!! كم نحن محظوظين أن سبقنا غيرنا إليه.

غمغم السمسار، وهو يحافظ على ابتسامته في صعوبة:

- لكل قدره.

أدار (عدلي) بصره في الأثاث الجديد، الذي بدا وكأن أحداً لم يستخدمه، قبل أن يقول:

- كم يدهشني أن يتخلى أحدهم عن منزل كهذا، وبكل أثاثه ومحتوياته.

أسرع السمسار يقول:

- لم يكن يتوقع الحصول على موافقة الهجرة بهذه السرعة.

أطلقت (البنى) ضحكة قصيرة، وقالت:

- عظيم.. هو حصل على ما أراد، ونحن فزنا بما أردنا.

أوماً السمسار برأسه، وهو يغمغم مكرراً:

- لكل قدره.

ثم استعاد صوته درجته الطبيعية، وهو يضيف:

هيا.. استمتعا ببيتكما الجديد.

قالها، وأسرع ينصرف، تاركا الزوجين السعيدين خلفه، وهما يواصلان انبهارهما ببيتهما الجديد الأنيق..

وعلى الرغم من أن كل شيء كان نظيفا مرتبا، فقد استغرقهما بعض الوقت، في إفراغ حقائبهما، وترتيب كل شيء في موضعه، حتى مالت الشمس إلى الغروب، فغمغم (عدلي) في إرهاق:

- يا إلهي! أشعر برغبة عارمة في النوم.

أقلت (لبنى) نظرة على ساعة يدها، وهي تقول معترضة:

- إنها لم تبلغ الثامنة بعد.

تحسس شعرها الناعم الطويل، وهو يبتسم في إرهاق، قائلا:

- ساعة واحدة فقط، وبعدها سنسهر سويا في الشرفة، ونستمتع بنسيم البحر العليل.

لوحث بسبابتها، وهو يتجه إلى حجرة النوم، قائلة:

- ساعة واحدة... لن أمنحك أكثر من هذا.

استغرق هو في نوم عميق، في حين انهمكت هي في تنظيم المطبخ، وإعادة غسل الأطباق والأكواب، وبدأت تعد بعض الشاي الأخضر الذي يحبه، استعدادا إلى إيقاظه.. وبينما تعد الشاي، شعرت بحركة من خلفها، فالتفتت إلى باب المطبخ، ولمحت ظلا يتجاوزها، متجها إلى الصالة، فهتفت مبتسمة:

- هل استيقظت.

لم تتلق منه جوابا، فوضعت كوبيّ الشاي على صينية معدنية أنيقة، حملتها إلى الصالة، و.. وتوقفت في دهشة..

فالصالة كانت خالية، ولا أثر لزوجها فيها، في حين كانت أستار مدخل الشرفة تهفهف، مع نسيم البحر، فابتسمت قائلة:

- أنت على حق.. سنتناول الشاي في الشرفة.

اتجهت بالصينية نحو الشرفة، إلا أنها أيضا كانت خالية، فالتقى حاجباها، وهي تغمغم في قلق:

- (عدلي)... أين أنت؟!!

مرة أخرى لم تتلق منه جوابا، فوضعت الصينية الصغيرة في الشرفة، وأسرعت إلى حجرة النوم، لتقف عند بابها ذاهلة..

لقد كان (عدلي) مستغرقا في نوم عميق، على نحو آثار فزعها..

من ذلك الذي مر بالمطبخ إذن؟!!

لقد لمحت طرفه في وضوح..

من كان؟!!

أسرعت توظف زوجها، وتسأله في توتر:

- (عدلي).. هل استيقظت منذ قليل؟!!

فرك عينيه في إرهاق ناعس، وهو يغمغم:

- هل مرت الساعة بهذه السرعة؟!!

كادت تهتم بإخباره عما رأته، إلا أنها خشيت أن تكون قد توهمت شيئاً، فأثرت الصمت، وهي تغمغم في عصبية، لم تستطع كبحها:

- لقد أعددت الشاي في الشرفة.

كان (عدني) يبدو مستمتعاً بتناول الشاي في الشرفة، في حين ظلت هي شاردة بعض الوقت، قبل أن تقول فجأة في حزم:

- أول ما علينا في الصباح، هو تغيير أفعال المنزل.

ابتسم، مجيباً:

- بالتأكيد.

وعاد يرتشف الشاي بنفس الاستمتاع، دون أن تعلق هي..

وبعد منتصف الليل بقليل، أوى كلاهما إلى الفراش، واستغرق (عدلي) مرة أخرى في نومه العميق، في حين ظلت هي مستيقظة في قلق، حتى الرابعة صباحاً، فلما لم يحدث شيئاً استغرقت في النوم بدورها..

وعندما استيقظت، كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحاً، ولم يكن (عدلي) يرقد إلى جوارها، فهتفت باسمه مرتين أو ثلاثاً، إلا أنها لم تتلق جواباً، فنهضت في قلق، واتجهت إلى الصالة، وهي تواصل النداء باسمه، حتى لمحتته..

كان يقف في الشرفة المفتوحة، يحدق في البحر الممتد أمامه، وممسكاً بحاجز الشرفة في قوة، جعلتها تتجه نحوه، وهي تقول في قلق:

- حبيبي... هل استيقظت مبكراً؟!!

لم تتلق منه جواباً، مما زاد من قلقها، وجعلها تهتف:

- (عدلي).

وفجأة، ومع نهاية هتافها، رأته يمسك حاجز الشرفة بكل قوته، ثم يرفع نفسه عن الأرض، ويدفع جسده إلى الأمام، و..

ويهوي..

من الطابق العاشر..

أطلقت صرخة رعب وارتياح، وهي تعدو نحو الشرفة، وقلبها يخفق في قوة، لم تعدها في نفسها من قبل، وألقت نظرة على الشارع..

ثم أطلقت شهقة عنيفة..

كل شيء في الشارع كان على ما يرام..

السيارات تسير في انتظام..

المارة يتحركون في هدوء..

ولا يوجد أثر لزوجها!!

أي أثر؟!

حبيبتي.. لقد عدت..”..

أطلقت صرخة فزعة مذعورة، عندما سمعت صوت (عدلي) من خلفها، والتفتت بحركة حادة، أفقدتها توازنها، فسقطت بين ذراعيه، وحدقت في وجهه بذعر، جعله يقول مضطرباً..

- إنه أنا!! ماذا أصابك؟!

هتفت به في رعب:

- أين كنت؟!

أجابها في حيرة متوترة:

- ذهبت لإحضار من يبذل أقفال البيت.. أليس هذا ما طلبته؟

أشارت إلى الشرفة، وهي ترتجف في شدة، قائلة:

- ولكنني رأيتك...

لم تتم عبارتها، وإنما حدقت في وجهه بشدة، وأجهشت بالبكاء على صدره، فضمها إليه في حنان، وهو يقول:

حبيبتي.. غبت نصف الساعة فحسب، ولكنني أعدك ألا أتركك وحدك مرة ثانية أبداً.

ظلت تبكي على صدره في حرارة، وجسدها الضئيل يرتجف بين ذراعيه، فقبل جبينها، وهو يقول في حنان مشفق:

هيا... ارتاحي قليلاً في حجرتنا، حتى ننتهي من تغيير الأقفال.

ظل جسدها يرتجف، حتى وهي راقدة في فراشها، وتركت باب الحجرة مفتوحاً، حتى تأتت بصوت زوجها، وهو يتحدث مع النجار، الذي أتى لتغيير الأقفال..

كان النجار يقول في حماس:

- مبارك هذا البيت الجديد يا أستاذ... من حسن حظك أن الورثة قرروا بيعه أخيراً.

ارتجف جسدها، عندما سمعت كلمة (الورثة) هذه، فقفزت من فراشها، ترهف سمعها أكثر عند الباب، و(عدلي) يقول في دهشة:

- ورثة؟؟ السمسار أخبرنا أن صاحب المنزل السابق هاجر!!

ضحك النجار، وهو يقول:

- نعم.. هاجر.. إلى الدار الآخرة.

ارتجف جسدها مرة أخرى في قوة أكبر، في نفس الوقت، الذي تساعل فيه (عدلي):

- ماذا تعني؟! هل مات؟!!

أجابته الرجل، دون أن يلتفت إليه، وهو منهمك في عمله:

- انتحر يا أستاذ.. كان يعاني من بعض المتاعب الصحية، ثم أخبره الأطباء أنه مصاب بورم خبيث في المخ، وأنه سيموت بعد أقل من عام، فلم يحتمل الصدمة، وانتحر.

غمغمت في رعب، وهي تحتفي بباب حجرتها:

- لا تقل إنه ألقى نفسه من الشرفة.

لم يسمعها الرجل، ولكنه أكمل، وهو ينهي عمله:

- ذات صباح، ألقى نفسه من الطابق العاشر.. كانت صدمة لنا جميعا.

اتسعت عيناها عن آخرهما، وراح جسدها يرتجف في شدة، وعجزت ساقاها عن حملها، فألقت جسدها على طرف فراشها، وراحت تلهث في انفعال عجيب، حتى تخيل إليها أن قلبها سيتوقف من شدة الرعب..

- حبيبتي.. لقد انتهينا..

قالها (عدلي) بابتسامة كبيرة، وهو يذلف إلى الحجرة، فأطلقت صرخة فزع قوية، وقفزت من فراشها، على نحو جعله يندفع نحوها، هاتفا في جزع:

- ماذا حدث؟! ماذا أصابك؟!!

أخبرته هذه المرة بكل ما خبرته، خلال الساعات القليلة الماضية، واستمع هو إليها في ذهول، قبل أن يجلس إلى جوارها على طرف الفراش، ويغمغم مبهوتا:

- لهذا كانت قيمة البيت وأثاثه منخفضة..

تشبثت به، وهي تهتف في ضراعة مذعورة:

- لن يمكنني الإقامة هنا ليلة واحدة.. ليس مع هذا الفزع.

ضمها إليه، وهو يقول:

- ولن أسمح بهذا أيضا.

وصمت لحظة مفكرا، قبل أن يضيف:

- سأعرض البيت ومحتوياته للبيع، وسنعود للإقامة عند والدتي مؤقتا؛ حتى يتم بيع البيت.



تشبثت به أكثر، وهي تقول:

- أريد الرحيل الآن.. أرجوك.

ربت عليها في حنان، وهو يومئ برأسه، قائلاً:

- أعدى الحقائق، وسأقوم ببعض الاتصالات، ثم نرحل فوراً.

راحت تعد حقائبها على عجل، غير مصدقة أنهما لم يقضيا سوى ليلة واحدة، في البيت الجديد، وما إن انتهت من إعدادها على عجل، حتى أسرع إلى الصالة، هاتفة..

ارتدت في رعب، عندما شاهدت زوجها (عدلي) يرتكن إلى سور الشرفة، وكأنما يلقي نظرة أخيرة على البحر..

ولم يكن هذا مبعث رعبها..

لقد كان ذلك الطيف، الذعر عبر الصالة أمام عينيها، متجها نحو زوجها مباشرة..

وبكل رعب الدنيا، صرخت:

- (عدلي).

التفت إليها في توتر، وارتطم بصره بذلك الطيف، فترجع مذعوراً، وهو يهتف:

- رباها!.. ما هذا الـ..

مع تراجعها، ارتطم جسده بسور الشرفة في قوة، واندفع الطيف نحوه، فمال إلى الخلف بحركة غريزية، وهو يصرخ:

لا.. ابتعد عني.

وانطلقت من حلق (البنى) شهقة رعب بلا حدود، عندما اختلَّ توازن (عدلي)، وتراجع جسده خارج الشرفة، وراح يضرب بذراعيه في الهواء، محاولاً التشبث بشيء..

أي شيء..

ثم خيل إليها أن قلبها قد توقف عن النبض، عندما هوى جسده خارج الشرفة، وسمعته يطلق صرخة هائلة، وهو يهوى، حتى صك مسامعها من بعيد، صوت ارتطامه بالأرض، ممتزجاً بصريير إطارات السيارات، وأبواقها، وصرخات المارة..

وبينما كان جسدها كله يرتجف وينتفض، بكل الرعب، استدار ذلك الطيف، واندفع نحوها، وهي تتراجع، وتصرخ..

وتصرخ..

وتصرخ..

في البيت الجديد.

☆ ☆ ☆ ☆

# زمن العجائب..

أيام المماليك.. يا لها من أيام..  
جالت الفكرة للمرة الألف في رأس (مالك)، وهو يجلس في معمله الصغير، في كلية علوم (القاهرة)..  
كان يضع اللمسات الأخيرة لاختراع، سيقرب وجه العلم رأسا على عقب..  
آلة الزمن..  
ليست تلك التي اخترعها (تشيرونوبروف) الروسي، عام 1997م، والتي اعتمدت على المجالات الكهرومغناطيسية..  
فآلة زمن (تشيرونوبروف) كانت محدودة للغاية..  
إنها تنقل أجساما جامدة، من قطعة واحدة، وإلى المستقبل فحسب..  
أما آله، فهي آلة زمن حقيقية..  
آلة تشبه ما تحدث عنه (هـ. ج. ويلز)، في رائعته (آلة الزمن)..  
آلة يمكنها أن تنقل بشريا، عبر الزمان والمكان..  
وإلى الماضي والمستقبل معًا..  
آله هذه ستصبح معجزة القرن العشرين بلا منازع..  
بل هي معجزة كل العصور..  
ولن يربح منها جائزة (نوبل) في العلوم فحسب، ولكنه سيربح المليارات أيضا، من بيعها لدول العالم، التي ستتنافس لامتلاك أخطر سلاح في التاريخ كله..  
بل هو سلاح التاريخ كله بالفعل..  
يكفي أنها تستطيع نقلك إلى أي عصر تشاء..  
وأي مكان تشاء.. بامتلاكها، ستستطيع أن تتحكم في الزمن وحده، ولكن في التاريخ أيضا..  
ويا لها من قوة جبارة..  
ولقد صنعها..  
واختبرها..  
وتيقن من نجاحها..

الشمبانزي الذي أرسله يوما واحدا إلى الماضي، ظهر في معمله، قبل أن يرسله بيوم كامل..

وفي تمام الصحة والعافية..

واليوم سيثبت نجاحها، في نقل البشر عبر الزمن..

سينقل نفسه، إلى العصر الذي حلم بالسفر إليه..

عصر الممالك..

أغلق عينيه، وهو يتصور نفسه، وقد عاد إلى عصر الممالك، وأخبرهم عن مستقبلهم، الذي هو تاريخ بالنسبة إليه..

سيبهرهم هذا حتما..

بل سيذهلهم..

راح يتخيلهم، وهم يحيطونه بحفاوة بالغة، خوفا ورهبة، وينعمون عليه بالعطايا والهدايا، والجواري الفاتنات الحسنات..

وهز رأسه في استمتاع، وهو يتخيل النعيم، الذي سينعم به هناك..

وعندما فتح عينيه، كان الحماس يملأ نفسه، والانفعال يسيطر على كيانه، حتى إنه ارتدى حلته الواقية في سرعة، وراح يضبط آلة الزمن على عصر الممالك، في نهايات القرن السادس عشر، وبالتحديد عام 1798م، وضغط أزرار الآلة في حماس، ثم تثبتت بذلك المقعد الوثير داخلها، وأغلق عينيه في قوة..

في البداية، شعر بارتجاجات خفيفة، راحت تقوى، وتقوى، حتى أخذ جسده كله يرتج معها في قوة..

ومن حوله، راحت عشرات الأضواء تختلط، وتتطاير من حوله..

كان يراها، حتى وهو مغلق العينين، كما لو أنها تتطاير في عقله، وفي قلب كيانه..

ثم بدأت الارتجاجات تهدأ..

وتهدأ..

وتهدأ..

فتح عينيه في حذر، ووجد نفسه غارقا في لجة من الأضواء المختلفة، تحيط به من كل جانب، وقد اختفت جدران آلة الزمن تماما..

وكما هدأت الارتجاجات من قبل، راحت الأضواء تخفت..

وتخفت..

ومن خلفها بدت الشمس مشرقة، ثم راحت تتحرك في سرعة نحو الغرب، حتى غابت في الأفق، وساد الليل لثوان، عادت بعدها الشمس تشرق في سرعة، وراح

النهار والليل يتعاقبان في لحظات، قبل أن تهدأ حركتهما ويقل تعاقبهما تدريجياً، ثم خيم الليل على المكان، وارتج جسده ارتجاجة عنيفة..  
وتوقف فجأة..

ومع ذلك التوقف المفاجئ دار رأسه في عنف..  
وفقد الوعي..

لم يدر كم بقي فاقد الوعي، ولكنه، وعندما استعاد وعيه، كانت الشمس تتوسط السماء، وتلقى أشعتها الذهبية، على وجهه مباشرة..  
وفي إرهاق شديد، نهض من مكانه، ووقف يترنح لحظات..  
ثم اتسعت عيناه انبهاراً..

لقد كان يقف على سفح مطل على البحر، الذي رست بالقرب من شاطئه، عدة سفن كبيرة، ذات أشعة متعددة، تشبه ذلك النموذج، الذي يضعه على أحد أرفف مكتبته الخاصة..

وخفق قلبه في قوة..

فقد كان هذا يعني أنه نجح..

لقد نقلته ألتة إلى حيث أراد..

إلى زمن الممالك..

كانت آلة الزمن محشورة بين صخرتين كبيرتين، ولكن هذا لم يقلقه..

إنه يستطيع إدارتها، والعودة بها إلى زمنه، عندما يريد، ووقتما يريد..

والمكان الذي انحسرت فيه، هو مأمّن جيد لها..

المهم الآن أن يبدأ خطته..

وأن يبهر الممالك بمعلوماته..

راح يسترجع كل ما حفظه عن ظهر قلب، عن تلك الحقبة من التاريخ، وهو ينزع بدلته الواقية، ويطويها في عناية، ويضعها أسفل آلة الزمن، التي أحكم إغلاقها، وبدأ يسير باحثاً عن أول من يلتقي به..

ولكنه فجأة، سمع صوتاً أشبه بالرعد..

ثم صفيراً حاداً يشق الهواء..

وانفجرت قنبلة ما، على مسافة عدة أمتار منه..

وبكل الرعب، قفز من مكانه..

قنابل؟!!

مستحيل!!

عصر المماليك لم يعرف القنابل..

ولا المدافع..

اتسعت عيناه فجأة عن آخرهما، عندما انتبه إلى حقيقة غابت عن ذهنه، وهو يختار هذا التاريخ بالتحديد..

1798م..

إنه تاريخ بدء الحملة الفرنسية على (مصر)!!!

والحملة فاجأت المماليك بالمدافع..

كيف غابت عنه هذه الحقيقة؟1

كيف؟

كان يهيم بالترجع؛ للبحث عن وسيلة لحماية آلة الزمن..

أو للانتقال بها إلى حقبة أخرى على الأقل..

عندما ظهر ذلك الفارس أمامه:

بغته..

كان من الواضح، من ثيابه وعتاده، أنه من فرسان المماليك، يمتطي صهوة جواد عربي أصيل، أطلق صهيلًا قويًا عند رؤيته، وضرب الهواء بقائميته الأماميين، في نفس اللحظة، التي استل فيها الفارس سيفه، ولكز جواده..

وانقضّ عليه..

وبكل ذعره وهلعه هتف:

- أنا صديق.. لست عدوا.

كان من الواضح أن ذلك الفارس لم يفهم حرفًا واحدًا مما قاله؛ فلقد واصل انقضاضه عليه، وهو يلوح بسيفه في الهواء..

ومع الانقضاضة، لم يجد أمامه سوى أن يجري محاولًا الفرار..

وبكل قوته..

ولقد وضع هذا موضع التنفيذ فورًا، وانطلق بكل قوته يجري..

ويجري.

ويجري..

ولكن وقع قوائم جواد الفارس كان يقترب منه في سرعة، وسمع من خلفه مباشرة صرخة قتالية قوية، قبل أن تهوى ضربة عنيفة على رأسه، ويسقط فاقد الوعي..

استيقظ بغتة، على صرخة ألم قوية، انتبه في سرعة إلى أنها قد انطلقت من حلقه هو..

ولقد هوت ضربة سوط قوية على ظهره، جعلته يطلق صرخة ثانية:

- ماذا تفعلون؟! أنا صديق.

هو السوط على ظهره للمرة الثالثة، مع ظهور شخص ضخم الجثة أمامه، له شارب كثيف، وحاجبان كثان، انعقدا في صرامة، وهو يصرخ في وجهه بكلمات ما..

كلمات لم يفهم منها حرفا واحدا..

وبكل ذعره وألمه، غمغم:

- رباه! اللغة! فاتني هذا أيضا..

كان من الواضح أن صاحب الحاجبين الكثين لم يفهم كلماته، فصرخ فيه مرة أخرى، في شراسة مخيفة..

كل ما فهمه هذه المرة، هو انه يتحدث عن الفرنسيين..

فاللغة في زمن المماليك، لم تكن نفس اللغة، التي يتحدثها في زمنه..

لهذا لم يفهموا كلماته..

ولم يفهم كلماتهم..

كيف فاته هذا أيضا؟!!

كيف؟!!

هوت ضربة سوط رابعة على ظهره، والرجل يصرخ في وجهه بشراسة أكبر..

وفي هذه المرة أيضا، كان يسأله عن الفرنسيين..

ويالرعبه وذعره..

لغته، التي لم يفهموها، جعلتهم، مع ملابسه الغريبة، يتصورون أنه من الفرنسيين، الذين يحاولون غزوهم..

وهم يحاولون إجباره على الاعتراف بما لديه..

حاول أن يستعيد معلوماته السابقة، عن اللغة الفرنسية، إلا أن ضربة سوط خامسة، جعلته يطلق صرخة ألم رهيبية:

- أنا مصري.. أنا منكم.

أمسك صاحب الحاجبين الكثين شعره، في قسوة بالغة، وصرخ في وجهه في وحشية عصبية، فهتف مذعورا:

- صدقوني.. أنا صديق.. لقد أتيت أعرض عليكم خدماتي.

هو صااحب الحاجبين الكثين على وجهه بصفعة قوية، وراح يصرخ فيه، في وحشية أكثر، فبكي في مرارة، وهو يقول:

- أنا صديق..

تراجع صااحب الحاجبين الكثين، وقلب شفثيه في امتعاض، وكأنما يؤس منه، فانهار رأسه على صدره، وهو يغمغم، من وسط بكائه:

- أرجوكم.. صدقوني.

أطلق صااحب الحاجبين الكثين زفرة عصبية، ثم أشار إلى رجل آخر، عاري الصدر، مفتول العضلات، وتحدث إليه بتلك اللغة القديمة، ثم رفع يده؛ ليمرر سبابته على عنقه..

وانسعت عينا (مالك) في رعب هائل..

لا يمكن أن يكون ما رآه صحيحا..

إنه يأمرهم بقطع رأسه..

وبكل رعبه، صرخ:

- لا.. لا.. وجودي سيفيدكم كثير... أنا مصري.. مصري مثلكم.

دفعه رجان بمنتهى القسوة، وأجبراه على الركوع أمام كتلة من الخشب، في حين حمل مفتول العضلات سيفه، وضغط الرجان كتفي (مالك)؛ ليجبراه على وضع رأسه على تلك القطعة الخشبية، وهو يصرخ مرتجفا:

- لست فرنسيا.. أنا قادم من المستقبل... يمكنني أن أريكم آلة الزمن... أنا مصري مثلكم... مصري مثلكم.

ورفع صااحب العضلات المفتولة سيفه..

وصرخ (مالك)..

وراح يصرخ..

ويصرخ..

ويصرخ..

ثم انقطعت صرخاته تماما..

والى الأبد.



## خلف الستار..

فرك (هاني) كفيه في توتر، وهو يقف أمام موظف شؤون الأفراد، في الشركة التي تقدم إليها بطلب توظيف، والموظف يراجع أوراقه في اهتمام، قبل أن يرفع عينيه، قائلاً في صرامة غير مبررة:

- الأوراق سليمة.

تنفس (هاني) الصعداء، ولكن الموظف استدرك في سرعة:

- ولكن..

هتف به (هاني)، قبل أن يتم عبارته:

- ولكن ماذا؟

مط الموظف شفثيه، وأيضاً على نحو غير مبرر، وهو يكمل:

- تنقصنا أربع صور.

عاوده توتره، وهو يقول:

- يمكنني إحضارها صباح الغد.

هز الموظف رأسه نفياً، وقال في صرامة:

- اليوم آخر موعد لتقديم الأوراق.

ألقي (هاني) نظرة شديدة التوتر على ساعته، قبل أن يقول متوسلاً:

- ألا يمكنك قبول الأوراق، ثم..

قاطع الموظف، في صرامة أكثر:

- لا يوجد (ثم).. إما أن تكتمل أوراقك اليوم، أو..

لم يتم عبارته، ولكن المعنى بدا شديد الوضوح..

سيخسر الوظيفة إن لم يحضر أربع صور، خلال ساعة واحدة.

هناك استوديو تصوير قريب، يمكن أن يمنحك الصور فوراً..

قالها الموظف، وهو يزيح ملفه جانبا، ويجذب إليه ملف موظف آخر..

بدأ (هاني) تحركه، للحاق بذلك الاستوديو، فهتف به الموظف، قبل أن يغادر المكان:

- المهم أن تعود قبل انتهاء الموعد، ولا تختفي مثل من سبقوك.

أجابته (هاني)، وهو يهرع خارج المكان:

- سأعود بإذن الله.

مط الموظف شفتيه، وهو يراه يختفي خارج المكان، وغمغم:

- كلهم يقولون هذا.

وبدأ يفحص الملف الجديد، مضيفاً:

- ثم لا يعودون أبداً.

في نفس اللحظة التي نطقها، كان (هاني) يسير بأقصى سرعته؛ لبلوغ ذلك الاستوديو، قبل انتهاء موعد قبول الأوراق..

كان استوديو صغيراً فقيراً، ولكنه يضع على واجهته لافتة كبيرة، تقول: صور شخصية فورية..

استقبله في الاستوديو رجل كهل، شديد النحول، أصلع الرأس تماماً، فسأله بكل لهفته:

- هل يمكنك منحى أربع صور شخصية، خلال أقل من نصف ساعة؟

رمقه الكهل بنظرة شاملة، قبل أن يجيب في هدوء:

- وفي أقل من ذلك.

ثم أشار إلى حجرة جانبية، وهو يضيف:

- ادخل هذه الحجرة.

اندفع (هاني) في سرعة إلى تلك الحجرة، التي بدت أصغر من أن تصلح للتصوير، وإن وضعت فيها كاميرا تصوير قديمة، وكشافان متهاالكان، مع ستار أسود، يغطي أحد جدرانها، وأمامه مقعد خشبي قديم، يواجه عدسة الكاميرا تماماً..

وفي عصبية، قال (هاني):

- يفترض أن تكون خلفية الصورة بيضاء لا سوداء.

أجابته الكهل في هدوء:

- سأستبدلها فوراً.. انتظرنى.

تراجع مغلقاً الباب خلفه، على نحو أشعر (هاني) بالضيق من وجوده في حجرة صغيرة قبيحة مغلقة، إلا أنه كتم مشاعره في أعماقه، مقابل أن يحصل على صورة بالسرعة اللازمة..

وفي توتر شديد، جلس ينتظر عودة الكهل، وهو يلقي نظرة على ساعة يده، كل حين وآخر، قبل أن ينتبه إلى وجود ساعة صغيرة، معلقة على الجدار، فرفع عينيه إليها،  
و...

وشعر بدهشة شديدة..

فتلك الساعة على الجدار، لم تكن ساعة عادية..

لقد كانت عقاربها تسير على نحو عكسي..

لم تكن تتحرك إلى الأمام، بل إلى الخلف..

راقبها بعض الوقت، وتزايدت حيرته..

كانت تسير في إيقاع منتظم تماما..

ولكن على نحو عكسي..

فالزمن الذي تسجله، كان يتراجع، بدلا من أن يتقدم..

راقبها بضع لحظات، قبل أن يهز رأسه، ويغمغم في عصبية:

يبدو أن أحدهم ثبت محركها على نحو عكسي..

كانت عشر دقائق قد مرت، والكهل لم يعد بعد، مما ضاعف من عصبيته، فاندفع نحو الباب، وهو يهتف:

- الوقت يمضي، وأنا متعجل للغاية..

جذب الباب في قوة، ولكنه لم يفتح..

جذبه مرة ثانية..

وثالثة..

ورابعة..

وفي كل مرة كان يجذبه بقوة أكبر، وعصبية أكثر، ويصرخ:

- الباب يا رجل.

كان الوقت يمضي ولا من مجيب، والباب مغلق في إحكام، ومصنوع من خشب سميك قوى، حتى إنه حاول دفعه بكتفه أكثر من مرة، دون أن يتحرك قيد أنملة..

وأخيرا، توقف لاهثا، وراح يذق الباب بقبضتيه في قوة، صائحا:

- الوقت يمضي يا رجل.. أرجوك.. سأخسر عملي.

وحتى مع هذا، لم يحصل على أية استجابة..

ويعد ربع الساعة من المحاولات، تملكه اليأس، فنراجع يلقي جسده على ذلك المقعد الخشبي، وهو يلهث في شدة، ويغمغم في انهيار:

- لماذا يفعل بي هذا؟! لماذا؟!!

انتبه فجأة إلى أن الستار الأسود من خلفه يهتز، كما لو كان هناك تيار هوائي يحركه، فقفز من مكانه، وأسرع يزيع الستار؛ ليلقي نظرة على ما خلفه..

واتسعت عيناه عن آخرهما..  
فخلف ذلك الستار الأسود، كان هناك كهف كبير واسع..  
كهف يمتد إلى آخر ما يستطيع بصره بلوغه..  
ومن ذلك الكهف، كان يأتي تيار من هواء دافئ لطيف..  
ولكن ذلك الاستوديو كان في بناية صغيرة، تطل على شارعين كبيرين..  
فكيف يمكن أن يمتد هذا الكهف إلى مدى البصر؟!  
كيف؟!

لم يجد تفسيراً، سوى أن هذا الكهف ينحدر انحداراً بطيئاً، بحيث يعبر ما تحت  
أرضية الشارع، دون أن يشعر المرء بهذا..  
ولكن المهم هو تيار الهواء الدافئ..  
إنه يعني أن هذا الكهف ينتهي بمخرج ما..  
مخرج إلى الحرية..  
ثم إنه مُضاء على نحو ما..  
لم ير به أية مصابيح واضحة، إلا أنه كانت هناك أضواء حمراء، تسطع هنا وهناك؛  
لتجعل الرؤية فيه ممكنة..  
ولم يتردد (هانى) سوى لحظة واحدة، ثم اندفع يعبر خلف الستار الأسود، إلى ذلك  
الكهف العميق..  
ألقي نظرة على ساعته، وهو يسير فيه في سرعة..  
نصف ساعة تَبقت، قبل نهاية موعد تقديم الأوراق..  
ربما لو أسرع الخطى..  
ربما..

تحول سيره إلى نوع من العدو، ثم لم يلبث أن صار يعدو بكل قوته، محاولاً بلوغ  
نهاية الكهف..  
وكلما توغل فيه، كانت الحرارة داخله ترتفع، وتيار الهواء الدافئ تحول إلى هواء  
ساخن، جعله يلهث أكثر، والعرق يتصبب على جبينه وجسده في غزارة..  
وعلى الرغم من هذا، فقد زاد من سرعته أكثر..  
وأكثر..  
وأكثر..  
وأخيراً، لاح له ذلك الضوء من بعيد..

ومع رؤيته، تضاعف الأمل في أعماقه، فاندفع بكل قوته، والحرارة تتزايد على نحو رهيب، و..

وأخيرا بدا له مصدر الضوء واضحا..

لم يكن ضوءا كما تصور..

بل كان نارا..

ألجنة من لهب رهيب، تتصاعد من فجوة كبيرة في أرضية النفق..

وبكل انفعاله وتوتره، توقف يلهث في شدة، وهو يحرق في ألجنة اللهب في يأس..

لهذا تزداد حرارة الكهف..

ولهذا صار الهواء ساخنا..

ولكن المشكلة الفعلية كانت أن ألجنة اللهب تسد نهاية الكهف تماما..

وهذا يعني أن محاولته كلها قد باءت بالفشل..

ويعني، وهو الأكثر مرارة، أن فرصته في الحصول على العمل، صارت منعدمة..

” هذا أقل مشكلاتك.. ”

لم يدر في البداية من أين يأتي ذلك الصوت، ثم لم يلبث أن انتبه ن

،

إلى ظل رجل، يقف على مقربة من النيران..

وبكل دهشته، تساءل: كيف لم ينتبه إليه في البداية؟؟

ولماذا بدا له الصوت مألوفا؟!

وبكل انفعاله، هتف:

- من هناك؟!

رأى ذلك الرجل يتحرك متجها نحوه، وهو يقول، بلهجة حملت مزيجا من القسوة والسخرية؛

- لا تقل لي إنك لم تتعرفني.

كانت ألجنة اللهب من خلفه تخفي وجهه تماما، مع ظل جسده ولكن (هاني) تراجع، مغمما في عصبية؛

- هذا الصوت.. ولكن مستحيل أن تكون أنت.

اقترب الرجل أكثر، وبدأت ملامحه تتضح، وهو يقول ساخرا، بكل القسوة:

- ولماذا مستحيل؟!

وما إن وقع بصر (هاني) عليه، حتى انطلقت من حلقه شهقة قوية، وتراجع كالمصعوق، وهو يهتف:

- (هاني).. مستحيل..

اقترب الرجل أكثر وأكثر، وبدت ملامحه شديدة القسوة، وهو يقول:

- لماذا؟!.. لأنك قتلتي، واستوليت على كل أوراقي، واستخرجت بطاقة هوية باسمي؟!!

صرخ (هاني) في رعب، وهو يحاول التراجع، صارخا:

- لا.. مستحيل أن تكون حيا..

قال الرجل، وهو يقف أمامه مباشرة، ويتطلع إليه بعينين ناريتين:

- ومن قال إنني حي؟

أطلق (هاني) شهقة أخرى، واستدار محاولا أن يعود أدراجه، و..

وارتطم فجأة بباب أسود سميك..

ارتطامه المفاجئ أخل بتوازنه، فسقط على ظهره، وانحنى الرجل فوقه، وهو يقول بكل القسوة والشراسة:

- لا عودة إلى الورا يا (صباحي).. رحلتك تنتهي هنا.. لم تعد (هاني) بعد الآن.. أنا (هاني) الحقيقي.. سأستعيد هويتي.

ثم اعتدل، واشتعلت عيناه نارا، وهو يضيف:

- وسأخذ روحك معي إلى حيث تستحق.

صرخ، وهو يخفي وجهه بذراعيه:

- ابتعد عني.. ابتعد عني.. أنت لست حقيقة.. أنت مجرد وهم.. وهم.

جذبه الرجل في قوة وعنف، نحو الحفرة التي يتصاعد منها اللهب، وهو يقول:

- وماذا عن النار؟! أهي أيضا وهم؟!!

لفحت النار جسده، فراح يقاوم في استماتة، صارخا:

- لا.. ليس النار.. ليس النار.

لم تجد مقاومته نفعاً، والرجل يحمله على ذراعيه، قائلاً بكل قسوة الدنيا:

- اطمئن.. سنذهب إليها معاً.

ووثب معه في حفرة اللهب..

وانطلقت صرخة (هاني).. مشتعلة..

«أزمة قلبية...»

قالها الطبيب الشرعي، وهو يفحص جثة (هاني)، الذي ظل جالساً على ذلك المقعد الخشبي، مستنداً بظهره إلى الستار الأسود، وعيناه جاحظتان في رعب شديد، فقال الكهل، صاحب استوديو التصوير مرتبكا:

- لقد تركته خمس دقائق فقط؛ لإحضار ستار أبيض، بدلا من هذا الأسود، وعندما عدت، وجدته على هذه الحالة، وكان هناك..

بتر عبارته دفعة واحدة، فسأله الطبيب في حزم:

- كان هناك ماذا؟

تردد الكهل لحظات، قبل أن يقول في خفوت:

- كان هناك دخان، يتصاعد منه..

ردد الطبيب في دهشة:

- دخان؟! ومن أين أتى؟!!

مد يده، يزيح ذلك الستار الأسود، وألقى نظرة على الجدار القديم خلفه، ثم أعاده إلى موضعه، وهو يقول في حزم:

- انس موضوع الدخان هذا.. إنها أزمة قلبية.. ليس لدى أدنى شك في التشخيص.

وتم إغلاق قضية الستار الأسود..

تماما.

(تمت بحمد الله)

# متميزون للكتب النصية



لينك الانضمام الى الجروب - Group Link



Link - لينك القتاة

## الفهرس:

عيد ميلاد سعيد..

أعلى.. أم أسفل

نداء..

ميمي الصغير..

مرحبا..

إلى الأبد..

رنات..

حبيبتي..

زهور الربيع..

شات..

الخوف..

أنت عمري..

أهل الهوى..

الأخـر..

جميل جمال..

بمنتهى الدقة..

لبلة مثالية..

شباب إلى الأبد..

كَمْ مُهْمَلٍ..

قطرات الماء..

ذاكرتي..

براءة الأطفال في عينيه..

البيت الجديد..

زمن العجائب..

خلف الستار..